اللسانيات

والنص القرآني

مقاربات التحليل ودلالات الخطاب





الدكتور: عبيدة خليل الشبلي

اللسانيات والنص القرآني

مقاربات التحليل ودلالات الخطاب

عنوان الكتاب	اللسانيات والنص القرآني مقاربات التحليل ودلالات الخطاب
بالإنجليزية	Linguistics and the Quranic text approaches to analysis and semantic speech
الترقيم الدولي	978-625-99934-5-4
المؤلف	**الدكتور عبيدة خليل الشبلي** Dr. Öğretim üyesi: Obayda ALSHIBLY
تاريخ النشر	2023م
اسم الدار	**دار أكاديمية ريمار للنشر**
عنوان دار النشر	الفاتح – إسطنبول– تركيا

الطبعة الأولى

2023

اللسانيات

والنص القرآني

مقاربات التحليل

ودلالات الخطاب



﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ

أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾

(النمل: ١٩)

۩ المقدمة ۩

بسم الله الجليل، صاحب الأسماء الحسنى العظيم الوكيل، الذي أعان على تأليف هذا الكتاب والعمل به، والحمد والفضل له في كل وقت وحين وفي كل نَفَس وحركة مع اليقين. أما بعد:

لقد كانت رحلتي مع اللسانيات وعلوم الدلالة والخطاب منذ السنوات الأولى في مرحلة الماجستير، وقد لمع في عقلي كثير من الأفكار والتصورات واللبنات اللغوية والنقدية عنه، وفي مرحلة ما بعد الدكتوراه اتجهت إلى ربط هذا العلم بالنص الديني المقدس العظيم الكامل ألا وهو القرآن، ولا أدّعي أنني السباق في ذلك، وإنما أكون في كل محاولة ودراسة من مسائل اللسانيات والنص القرآني في عتبة من عتبات التدرج الكمالي اللامتناهي لأسرار المبنى القرآني للولوج إلى المعنى والهدف من التنزيل، فكان هذا الكتاب رشقة من رشقات التأصيل والتدليل على عظيم علم النص القرآني إن تمت دراسته عبر اللسانيات المعاصرة التفكيكية للرموز والإشارات لتوليد الدلالات ونتاج الخطاب.

وجاء هذا الكتاب في فصلين، وكان الفصل الأول موجهاً لدراسة العلاقة بين القرآن الكريم والمقاربات اللسانية وأدواته في ذلك المناهج اللسانية والتي خضعت للتجاذب بين المعارضين والقائلين بالأخذ بها، ثم العلاقة بين الصورة القرآنية واللسانيات، ثم التحليل اللساني للسياق القرآني، وكذلك ملامح البعد اللفظي ودلالات النص القرآني. ثم بخلاصة الفصل والتي اشتملت على عدد من التلميحات والإشارات الدلالية للعلاقية بين السياق النصي للقرآن وبين اللسانيات كعلم لغوي عميق،

وهذا الدلالات والعلاقات اللسانية بسياق القرآن لا تتضح لنا من خلال قراءة المقدمة فقط، بل يجب علينا الولوج بالقراءة المتكاملة لتلك السطور كلمة كلمة؛ ليتحقق لدينا الإشباع وروح المغامرة النقدية عبر اللسان واللغة.

وأما الفصل الثاني من الكتاب فقد تناولت فيه عدداً من القضايا اللسانية المتعلقة بين النص القرآني بدلالاته الخطابية واللسانيات كعلم من علوم تفكيك الخطابات وطرح الجواب في عدد من الأقسام، أولها قضية النص القرآني ولسانيات الخطاب، وثانيها البعد الصوتي ولسانيات الخطاب، وثالثها العلاقة التجاذبية بين الخطاب القرآني ومسارات تحليله، ورابعها الخطاب القرآني نحو العالمية، وكذلك الحديث بعد ذلك عن خلاصة لهذا الفصل.

والله تعالى أرجو أني قد وفقت في هذا العمل خالصاً لوجهه وخدمةً للقرآن الكريم ونفعاً للباحثين والمهتمين في ميادين الدراسات اللسانية المعاصرة وتطبيقها وتذوقها نقدياً من خلال النص القرآني الجميل والجليل.

2023/08/27م

الموافق 11/صفر/1445هـ

الفصل الأول

القرآن والمقاربات اللسانية

الفصل الأول: القرآن والمقاربات اللسانية

لا تخلو اللغة القرآنية المباركة من العمق في الدلالات والسياقات اللامتناهية من المضامين النصية بين اللفظ القرآني وعلم اللسانيات، فلو نظرت في المؤلفات الحديثة، وجدت كثيراً منها يقوم على دراسة وتأصيل العلاقة بين النص القرآني واللسانيات. سنلجأ في هذا الفصل إلى تبيان العلاقة بين القرآن واللسانيات بكونه من أعظم النصوص في الدراسات اللسانية، ولكونه من السياقات الإعجازية التي ترقى إلى الكمال اللساني في مسائل البحث والدلالة.

إن مهمة اللسانيات في مقاربات النص القرآني تنطلق من البحث عن المستوى الدلالي للفظة المفردة أو الجملة أو التركيب القرآني بعيداً عن التحليل اللفظي السطحي للمضمون وتشكل الصورة، فاللسانيات تنحو بالسياق القرآني إلى المنهج الكمالي؛ فالقرآن الكريم ليس له مثيل من النصوص الأخرى على جميع الأصعدة والميادين؛ إذ إن قيمة النص القرآني تزداد يوماً بعد يوم، والدليل هو التطور الذي يحدثه عبر الأزمنة بين الدراسات القديمة القائمة على ظاهر النص بين اللفظ والمعنى أو وجهي العملة الواحدة، وبين القرآن واللسانيات الحديثة التي تدرس النص القرآني بين التشكيل والدلالة

في مراحل مشـــبعة بالعلاقة بين الســـياق والبعد الدلالي والتناســـب والتناسق والتماسك وما إلى ذلك من مصطلحات اللسانيات التي نعلم قيمتها من خلال تطبيقها وشـــرحها على المســـتوى التركيبي للقرآن العظيم.

لعل قيمة اللســـانيات في دراســـة النص القرآني تأتي من كونه لا نســـتطيع دراســـته من جانب واحدٍ دون الجوانب الأخرى، فلا يمكن دراسة النص القرآني من خلال المستوى اللفظي أو التركيبي فقط، أو المســـتوى الدلالي فقط، أو المســـتوى الصـــوتي فقط، أو المســـتوى الصرفي فقط، أو المستوى المعجمي ... إلخ، بل نلحظ أن اللسانيات تدرس العلامة اللغوية ليس حيث كونها ذات دلالة ذاتية تعبر عن غرضـــها في ذاتها، بل من خلال دورها في تركيب الســـياق، ودورها في تحديد أبعاد الدلالة ومحتوى ونظام تماسكها في ذلك. [1]

أولاً: النص القرآني واللسانيات

ليس من الســـهل الحديث عن العلاقة بين النص القرآني واللســـانيات الحديثة؛ إذ نجد لها صـــدى بين المطرقة والســـندان؛ فلا يمكن بحال من الأحوال أن نذكر العلاقة بينهما بعيداً عن بيان ما

---

1 انظر: هلال الدين، نعمان، **الخطاب القرآني في ضوء العلوم اللغوية**.

ينـدرج تحتهـا من المســــارات والاختلافـات بين التـأييـد للتطور في الدراسات اللغوية من قبل بعض اللغويين، وبين من يذهب إلى دراسة النص القرآني من حيث القداســـة والمرتبة العالية دون محاولة ربطه بعلم اللغة الحديث وتياراته وتحولاته عن القديم، فالعلاقة بين النص القرآني واللسـانيات تظهر منذ سـوسـير في بداية القرن العشـرين ومن بعده من تلاميذه والتي تقوم على دراسـة آلية اللسـان البشـرية وظواهره اللغوية من أجله ولذاته، وذلك عبر مادة (اللغة)، فهي الوجه الآخر للنص القرآني المدروس بأدوات التجديد وتطوير الدراســـة اللغوية للنص القرآني.[1]

نحن نعلم أن اللسـانيات في البداية وضـعت لدراسـة النصـوص الأدبية وبعد ذلك انتقلت إلى النصـــوص الدينية، وكانت في بحبوحة من الشـك حول مشـروعية توظيفها مقابل النص القرآني، ولعل ذلك كان بنحو عام 1950م، فلا يمكن قياس النص القرآني المقدس بوجه من الوجوه على النص الأدبي المدروس سابقاً، ولو كانت حقيقة اللغة واحدة منذ ابن جني؛ إذ هي في مفهومها العام: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضـــهم. [2] فالحقيقة التي ذهب بها ابن جني تنطلق من

---

[1] انظر: خولة، طالب الإبراهيمي، **مبادئ في اللسانيات**، دار القصبة، الجزائر، ص9.

[2] انظر: ابن جني، الخصائص، 33/1.

كونها الأصـــوات؛ أي: النص مهما تنوعت واختلفت مســـتوياته بين أدبي أو شعري أو ديني كالسياق القرآني الكريم.

وكذلك بينت القريحة العالية عند علماء العربية الأقدمين تلك العلاقة بين النص القرآني وعلم اللغة؛ فنلحظ الإشـــارات الدلالية عند العالم العبقري لميدان اللغة ودارساتها عبد القاهر الجرجاني؛ إذ يذكر في كثير من مواطن مؤلفاته العلاقة بينهما، فالنظم القرآني عنده يســـمو ويدفعنا دوماً للبحث عن الكمال في ســـياقه وبيانه ودلالاته ومضـامينه، يقول: "أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصـائص صـــادفوها في ســياق لفظه، وبدائع راعتهم من مبادي آية ومقاطعها، ومجاري ألفاظها ومواقعها، وفي مضـرب كل مثل، ومسـاق كل خبر، وصـــــورة كل عظة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترهيب، ومع كل حجة وبرهان، وصفة وتبيان؛ وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا، وآية آية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها، ولفظة ينكر شأنها، أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق، بل وجدوا اتســـاقاً بهر العقول".[1] وهو يدعو في موضـــع آخر إلى أن يكون الاســتحســان أو الذائقة النقدية أو الحكم اللغوي قائماً في ميدان

---

[1] عبد القاهر، الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م، ص 32.

النص القرآني على عدد من الأســـس والبنى وليس اعتباطياً، بل من خلال تضـــافر العوامل في ميدان اللغة التي ينبو عن طريقها هذا القول أو الرأي أو الحكم، يقول: "وجملة ما أردت أن أبينه لك: أنه لا بد لكل كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك ســبيل، وعلى صـــحة ما ادعيناه من ذلك دليل. وهو باب من العلم إذا أنت فتحته اطلعت منه على فوائد جليلة، ومعان شـريفة، ورأيت له أثراً في الدين عظيماً وفائدة جسيمة". [1]

ولو ذهبنا إلى القرن الســابع وجدنا أن الإعجاز عند حازم القرطاجني يرتبط بدلالات ومفاهيم علم اللغة، فالنظم عنده هو صورة الســياق اللغوي التي يحدثها النص في المتلقي، وهو يقيس تلك المســألة على الشــعر، فكيف وإن كانت في ميدان النص القرآني؟ يقول: "النظم: صــناعة آلتها الطبع. والطبع هو اسـتكمال للنفس في فهم أسرار الكلام، والبصيرة بالمذاهب والأغراض التي من شأن الكلام الشعري أن ينحى به نحوها؛ فإذا أحطت بذلك علماً قويت على صوغ الكلام بحسبه عملاً، وكان النفوذ في مقاصد النظم وأغراضه وحسن

---

[1] انظر السابق، ص 41.

التصـــــرف في مذاهبه وأنحائه؛ إنما يكونان بقوى فكرية واهتداءات خاطرية تتفاوت فيها أفكار الشعراء". [1]

ولما كان للنص القرآني عند العرب المرتبة الأولى ربطوا ميدان البحث اللساني فيه بتلك المرتبة، فراحوا يبحثون عن الأسباب اللغوية في تحقق تلك المنزلة فيه؛ "وقد اعتبروه في أعلى درجات الفصـــاحة، وخير ممثل للغة الأدبية المشـــتركة، ولذا وقفوا منه موقفاً موحداً فاستشهدوا به، وقبلوا كل ما جاء فيه، ولا يعرف أحد من اللغويين قد تعرض لشيء مما أثبت في المصحف بالنقد والتخطئة. يقول الراغب الأصـــفهاني في كتابه (المفردات) مبيناً قيمة اللفظ القرآني: "ألفاظ القرآن الكريم هي لبّ كلام العرب وزبدته، وواسطته، وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء ... وإليها مفزع حذاق الشـــعراء والبلغاء ... وما عداها ... كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة". [2]

ولعلنا نبدأ بالحديث أولاً عن الرافضـين لتطوير الدراسـات اللغوية للنص القرآني من خلال اللســـانيات الحديثة؛ إذ يبتعد كثير من اللغويين في العصـــر الحديث عن الإبانة عن العلاقة بين النص القرآني وعلم اللسانيات الحديث؛ وذلك لقولهم بأن علم اللسانيات يعود

---

[1] حازم، القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص 63.

[2] أحمد، مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ص 17- 18.

إلى تيارات واتجاهات فكرية غربية، وليســـت تعود إلى الأصـــل والاجتهاد العربي، فنلحظ منهم الباحث الســـوري عبد الرحمن الحاج وهو يرفض تطبيق اللسـانيات على النص القرآني الكريم؛ إذ يعتقد أن علم اللســانيات كان من حيث النشــأة والتطور والوصــول إلى ميدان الدراســات العربية مظهراً من مظاهر التمدد الغربي من خلال نفوذها وسطوتها على الدراسات العربية بنتاجها وجهودها العظيمة، وذلك من خلال إخضــاعها لمنطق الحس، ولو أنها تفارقه، وأن هذا العلم الذي يقوم على أرضــية الفلسـفة الإبســتمولوجية[1] وهو ليس علماً محايداً، مما يجعل دراسـة النص القرآني من خلال خطوات محفوفة بالمخاطر والمزالق والعقبات، فكيف وإن كان ذلك في ميدان التأويل والتفســـير اللغوي للقرآن الكريم عبر اللسانيات. [2]

ويذهب الدكتور طه عبد الرحمن إلى رفض النظريات اللســـانية التي تريد تفســـير أو تحليل النص القرآني؛ إذ يرى أنها تتعامل مع النص القرآني بما أُتيح لها من وسـائل النظر والبحث التي تتوافر بين

[1] **الإبستمولوجيا:** مصطلح يوناني يراد به البحث في أصل المعرفة لعلم من العلوم أو مصطلح من المفاهيم بين النشأة والتطور.

[2] انظر: عبد الرحمن، الحاج، **المناهج المعاصرة في تفسير القرآن وتأويله**، ملتقي أهل التفسير، 2008.

يديها عن الدراســات الغربية الحديثة، وهي بذلك لا تقوم على التفريق بين النص الأدبي والنص الديني المقدس كالقرآن، وكذلك لا تفرق بين النص الأدبي الصــادر عن النتاج البشــري، وبين النص القرآني الكريم المطلق الصــادر عن الله ســبحانه وتعالى، ولذلك يرى أن هذه العلوم والنتاجات اللســانية لا تصــلح للقيام بواجبها اللغوي أمام النص والســياق القرآني؛ إذ تخدم القراءات اللســانيات الحديثة، فهي تتيح للقارئ أو الدارس للسياق القرآني أن يقوم بتطبيق جميع وكل المناهج الناتجة عن المدارس اللســانية الغربية على القرآن، وفي ذلك الطامة الكبرى، فبذلك يعتبر ما جاء في الســياق القرآني كالســياقات الأخرى إبان الدرس اللســاني وتطبيقاته الحداثية ذات المنبع الغربي، وميدانهم في ذلك التاريخ والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم الأناسـة [1] وعلم النفس و التحليل النفســي وغيرها من العلوم التي يرفض دراســة النص من خلالها بطرق اللســانيات وفنونها. وبالتالي أخذت بهذه الصــفات

[1] **علم الأناسة:** علم يدرس البشر في جميع أنحاء العالم، وتاريخهم التطوري، وسلوكهم، وكيفية تكيفهم مع البيئات المختلفة وتواصلهم واختلاطهم معا.

الباحثين إلى العلوم السلبية وغير الصالحة لفهم وتحليل النص القرآني وفق منظورها. [1]

ثم راح المعارضـــون إلى أن تطبيق علم اللســـانيات على النص القرآني لا يجوز، ويبررون ذلك بأن جميع العلوم الغربية واللســـانيات منها تخضـــع للتجريب في ميدانها التداولي، وبهذا لابد لديهم من أن يخضـع النص القرآني لتلك الفرضـيات والنظريات الفلسـفية الغربية، وهذا من المحال الذي يجب تجنبه لقداســـة النص القرآني ومكانته السامية عند علماء العالم قاطبة.

وبما أن اللسانيات العربية تأتي من مرحلة ولادة اللسانيات الغربية وتبعاً لها، فكذلك وظفها اللســـانيون العرب الحداثيون لمبدأ الفلســـفة وفرضـــية الاحتمالات التي قامت عليها الدراســـات اللســـانية الغربية، فكان من المســـلم به عدم قبول تطبيقها والأخذ بها في مجال تفســـير وقراءة النص القرآني من الناحية اللسانية الحديثة.

وكذلك لم يقبلوا بدراســـتها وفق النظريات اللســـانية الغربية المطبقة على الكتب الدينية المسيحية والتي تقوم بدراستها وفق تلك الفرضيات

---

[1] انظر: طه، عبد الرحمن، **روح الحداثة:** المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006م، ص 181.

والفلســفات، فالقرآن لا يقاس بجانب الكتب الســماوية الســابقة فهو قطعي، بينما شــاب الكتب الســماوية الســابقة ما شــابها من الانتحال والتدليس والتغيير.

ويرى الدكتور طه عبد الرحمن أن الهدف والغرض من الربط بين النص القرآني والمناهج اللســـــانية ليس بريئاً، فالهدف فيها هو رفع الغيبة عن النص القرآني، فتقوم على التعامل مع النص القرآني كما تتعامل مع النص الأدبي دون أن تفصـــل بينهما من حيث قداســـة النص القرآني وتواتره القطعي الســـند، كما أن الباحثين في ميدان اللســـانيات من العرب برأيه لا يجدون حرجاً من أن ينزلوا النص القرآني منزلة المناهج العلمية للإنسان وعلوم الاجتماع والفلسفة وعلم النفس وغيرها، وهو مما أسلفنا ذكره ورفض الأخذ به. (1)

ويذهب الباحث محمد علواش في كتابة (الســـقوط الحداثي: نقد المنهج في التعامل مع النص القرآني) إلى أن تطبيق اللســـانيات في دراسة النص القرآني يوقعنا في عدد من الآفات لذلك لابد من الرفض له كجانب من جوانب دراسة السياق القرآني، وهي:

---

[1] انظر: السابق، ص 182.

1- تجاهل الغربيين في درسهم اللساني لقداسة النص القرآني، وهذا قادهم إلى الاصطدام مع البعد الإلهي لمصدرية النص القرآني.

2- أن اللسانين العرب نظروا إلى اللسانيات الغربية واعتقدوا فيها الكمال وأنها حقائق ثابتة من حيث قدرتها على الإحاطة بالنص القرآني واستنفاد جميع الوجوه والدلالات القصدية فيه.

3- الجهل بطبيعة المناهج اللسانية الغربية؛ وذلك كونها تتعامل مع النصوص الغربية في بيئتها كمادة لغوية محضة، بعيداً عن البعدين الغيبي والديني. (1)

وبناء على هذه الآفات كان تطبيق اللسانيات على النص القرآني من المحال عند محمد علواش؛ إذ يعتريها القصور والنقص في مجال الإحاطة بالنص القرآني من جميع الدلالات والوجوه التأويلية الناتجة عنه، ومما يزيد الطين بِلَّة معرفتهم بما فيها من نقص وإصرارهم على تطبيقها على النص القرآني المقدس.

وتوالت دعوات الرفض لدراسة النص القرآني من خلال اللسانيات؛ إذ إن اللسانيات علم انبثق عن الحوض المعرفي الغربي؛ إذ لا يمكننا

---

[1] انظر: محمد، علواش، **السقوط الحداثي:** نقد المنهج في التعامل مع النص القرآني، ط1، عالم الكتب، الأردن، عام: 2019م، ص 191.

- نحن العرب- معرفة هذا العلم الجديد إلا من خلال نافذة اللغات الأجنبية الإنكليزية أو الفرنسية؛ ذلك أنه للحق وللتاريخ، وإنصافاً للعلم والعلماء، لا يمكننا إلا أن نعترف بأن اللسانيات الحديثة هي محض العقلية الغربية التي أنتجتها. وعلى هذا الأساس فإن البحث اللساني لا يمت بصلة إلى اللغة والثقافة العربية؛ لأنه بحث أوجدته ظروف اللغات الأوروبية التي تختلف في انتماءاتها وتكوينها وبيئاتها وشعوبها المتكلمة بها وتأريخها عن العربية وظروفها اختلافاً كبيراً، يجعلنا في موقف رافض لكل ما يراد من الباحثين المعاصرين العرب أن يسلكوه، أو يتعاملوا به مع العربية. [1]

ولهذا كانت اللسانيات معنية بشكل مباشر بهذا الصراع وبهذه المقاومة، فكان من الطبيعي أن تقاوم مقاومة أشرس. فقد عُدّت شكلاً من أشكال الإمبريالية العالمية؛ لأنها تسعى جاهدة إلى تشجيع كل صوت يضرب على وتر الانسلاخ عن اللغة العربية الواحدة، والثقافة العربية الأصيلة بشتى الأشكال الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والعلمية (اللسانية). [2] ولهذا ولما تمَّ ذكره لا يمكن أن نتخذ من

---

[1] انظر: حافظ، علوي، **نحن واللسانيات مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافة العربية**، مقال، موقع: الكلمة.

[2] انظر: السابق.

اللســانيات بوابة للولوج إلى النص القرآني أو درايته من خلال أدواتها ومفاهيمهما ونتاجاتها اللغوية.

ثمّ على النقيض نجد الدعوات العربية الحداثية تنطلق لدراســة وتطوير الدراســات اللغوية العربية للنص القرآني عبر اللســانيات، وتنادي بالإفادة من مناهجها في الدراســات العربية أيضــاً؛ إذ تعد الدراســات اللســانية للقرآن إحدى القراءات المعاصــرة التي بدأت في ســتينات القرن الماضــي، بعد مرحلة محمد عبده، وســيد قطب، وما تزال حتى اليوم، حيث انقسمت الدراسات المعاصرة للقرآن إلى ثلاثة أقسام:

1- **مناهج إســلامية أصــيلة:** وهي التي تتمحور حول التفســير الموضوعي ودراساته، حيث وجد البحث في هذا الجانب خلال الحقبة الماضــية، وهذا النوع من التفســير يرجع في جذوره إلى الأشــباه والنظائر.

2- **مناهج مختلطة:** وهي التي أخذت من العلوم الإســلامية والعلوم الأخرى مثل: التفسير البياني والتفسير الأدبي.

3- **منـاهج غربيـة:** وهي التي اعتمـدت على المنـاهج الغربيـة في دراســة القرآن، وهذه هي التي يطلق عليها اليوم (القراءة المعاصــرة)

وقد اعتمدت على اللسانيات بالدرجة الأولى وعلى المنهج التاريخاني[1] بالدرجة الثانية. [2]

ولعل الداعين إلى التفسير القرآني للسياق والنص من خلال اللسانيات المعاصرة اعتمدوا في نظرتهم على محاولات التجديد في الفكر والآلية للتأويل أوما يعرف بـ(سؤال المراجعة والتجديد) وفيه يدعون إلى تجديد آليات التعامل مع النص القرآني، فالسؤال الذي يقصدون إليه ليس ما مدى مشروعية توظيف اللسانيات في دراسات النص القرآني؟ بل السؤال هو: هل يقبل تراثنا الإسلامي بالعموم، والتفسير بشكل خاص أن تتم دراسته من خلال مصطلح (المراجعة) وأدواتها اللسانية الحديثة القائمة على استقراء النص القرآني من خلال

---

[1] المنهج **التاريخاني:** أحد مناهج النقد الأدبي الغربي ويطلق عليه (المنهج التاريخي) أيضاً، يعمد إلى تحليل النصوص باعتبارها نتاج بيئة وزمن معين فينظر للنص الديني بأنه متوقف عند زمن معين ولا ينسحب على كل الأزمنة؛ لتغير المجتمعات وتطورها. انظر: بيزر، فريدرك، **التاريخانية**، ترجمة: عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر. ص 4- 10.

[2] آلاء الرحماني، محمد المجالي، **اللسانيات وتطبيقاتها على القرآن الكريم دراسة نقدية**، مقال، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، جامعة قطر، عام: 2020م. ص8.

الجهود الغربية الحديثة لخدمة النص القرآني في التراث الإسلامي في دراساتنا ومحاولات تطويرها والسير بها إلى أنماط حديثة. [1]

ومن المؤيدين لتطبيق اللسانيات في دراسة النص القرآني الدكتور أحمد عبادي، والذي يذهب إلى أن الإفادة منها في تناول النص القرآني من واجبات التجديد والتحديث في درسنا اللغوي، ويقيم دراسته على الثابت والمتحول؛ فالثابت عنده ما يجب البناء عليه، وأما المتحول أو المتغير: فهو الذي يدخل في ميدان الدراسة كونه يخضع ويقع تحت دائرة النسبي، ويرى أنه لابد من استثمارها في الدراسة اللغوية للنص القرآني، فنحن عندما وقفنا على الفترة التأسيسية لعلم تفسير النص وهي القائمة على العلاقة والحوار وعلاقته بالوحي، سنبقى منحسرين بالمرحلة الأولى للنص القرآني، بينما الواجب عندنا أن نذهب به إلى جوانب قابلية اكتشاف الجديد من الآفاق، فلابد من القيام بواجبنا إزاء الوحي، وإزاء متطلبات واقعنا الداعي إلى تطوير الدراسات اللغوية ولاسيما اللسانية نحو فهم جديد للنص القرآني الكريم. [2]

---

[1] انظر: زكرياء، عريف، **مشروعية توظيف اللسانيات في تفسير القرآن الكريم دراسة لآراء الرافضين والمؤيدين**، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ص 19.

[2] انظر: حوار مع د. أحمد عبادي، مجلة الإحياء، ع 29، ص78.

وكذلك نجد الدكتور طه العلواني يدعو إلى مراجعة درسـنا اللغوي لفهم النص القرآني، يقول: "إن علم المراجعات جدير بأن نعمل على إرساء مبادئه وقواعده؛ ليأخذ شكله العلمي الدقيق المتميز... ويصبح بذلك علماً يتخذ من العلوم والمعارف النقلية موضـوعاً وميداناً لبحثه ودراسـته، فيعمل على دراسـة وتحليل النظم والأنسـاق المعرفية التي تكونت هذه المعارف في إطارها، ومراجعة نظرياتها المعرفية ومصـادرها ونماذجها ومناهجها وفلسـفتها وتاريخها وآثارها ونتائج تفاعلها مع الإنسان والكون والحياة". [1]

ويذكر الباحث لشخب زين الدين في رسالته للماجستير أن الدعوة إلى الدراسات اللسانية في فهم النص القرآني تعود في دراساتنا العربية لعدد من الأسـباب والمسـوغات، وهذه الأسـباب دفعتهم إلى توظيف المناهج اللسـانية خدمةً للنص القرآني الكريم؛ إذ تتوافق عندهم مع الاستراتيجيات في التعامل مع النصوص الإسلامية بشكل عام ومع النص القرآني بشكل خاص، فهي تحاول وتسعى جاهدة إلى استبدال مناهج العلوم الطبيعية القديمة في تناول النص القرآني بمناهج اللسانيات الحديثة، وعلتهم في ذلك أن مناهج العلوم الطبيعية القديمة

---

1 طه، العلواني، **نحو تأسيس علم مراجعات التراث الإسلامي**، مجلة الإحياء، ع29، ص43، وما بعدها.

تقوم على دراسة النص القرآني من خارج النص، بينما تذهب مناهج اللسانية الحديثة إلى دراسة النص من داخله، فهو المعول عليه في الدرس اللغوي الحديث، وعليه كان الاستعمال للمناهج اللسانية الحديثة عند دراسة النص القرآني يكون أكثر ملائمة ومناسبة لطبيعة النص القرآني الكريم؛ إذ فيه المجيء بالجديد والنافع وما لا يسبق إليهم من الناحيتين اللغوية والمعرفية، كما أن فيه شحنة إيجابية للانطلاق بالدراسات التي تسعى إلى تجديد التأويل للنص الديني ولاسيما النص القرآني المبارك، وبناء عليه نلحظ الأثر الحداثي في تناولنا للنص القرآني وتفسيره وتأويليه من الناحية والعوامل اللسانية المجددة له. (1)

هكذا نجد أن العلاقة بين اللسانيات والنص القرآني قد قامت على التجاذب والخضوع لتيارات من النقد اللغوي في المحيط العربي؛ إذ كانت مبنية على أمواج من الرفض لوجودها ونقلها إلينا عن الدراسات الغربية الحديثة للنص الديني عندهم، وبين القبول والتأييد لها بكونها تفتح نافذة جديدة وتعطي المجال الرحب للدرس اللغوي العربي من

---

1 انظر: لشخب، زين الدين، **المناهج اللسانية وأثرها في الدراسات القرآنية المعاصرة**، رسالة ماجستير، إشراف: د. يونس ملال، جامعة أحمد دراية، الجزائر، عام: 2017م، ص 109.

خلال تطبيقها على النص القرآني وخدمته، والبحث عن معانيه بالأساليب الحديثة وعلى رأسها لسانيات النص وعلومه وتطبيقاته.

ثانياً: الصورة القرآنية واللسانيات

إنّ للصورة معان اصطلاحية عديدة؛ إذ هي: جمع صور عند أرسطو، وهي تقابل المادة، وتقابل وجود الشيء أو حقيقته، أو الكمال في الشيء، وهي عند كانط بمعنى المعرفة، ويراد بها المبادئ الأولية التي تتشكل بها مادة المعرفة لدينا، والصورة تعني أيضاً: ما تدركه النفس الباطنة والحس الظاهر معاً، وتكون بشكل تدريجي؛ إذ تكون الصورة أولاً عبر الحس الظاهر، ثم تنتقل إلى ما تؤديه في النفس عند التلقي لدلالاتها ومعانيها. [1] والصورة ترتبط بناحية التحليل الفلسفي واللغوي على السواء، وذلك وفق معطيات الأبعاد للصورة بين النفس والتأثير والتأثر.

لا شك أنّ الصورة قد أخذت في الفلسفة اللغوية والسيمائية حيزاً كبيراً من جانب الدراسة والدلالة؛ إذ تختلف دلالتها ومعانيها باختلاف

---

[1] انظر: الجوهري، **الصحاح في اللغة والعلوم**، دار الحضارة الإسلامية، عام: 1974م، ص 744.

المعاني التي نقصـد إليها من خلالها بين البلاغية واللسـانية والنحوية وغير ذلك من الدلالات السياقية التي تنتج عنها.

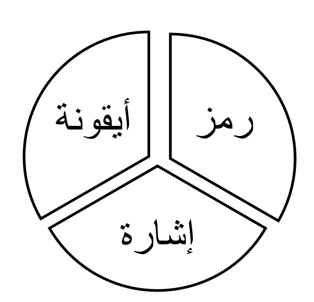
وللصورة والسميولوجيا علاقات غارقة في القدم، وإن كانت الصورة تســبق اللغة لكن العلاقة بينهما قائمة على طبيعة المتلازم والمتلائم، وقد اهتم كثير من الفلاسـفة واللغويين بدراسـتها وربطها بمصـطلحات السيميائية، وقد مرت **سيمولوجيا الصورة**[1] بأربع مراحل:

1- المرحلة الأولى (التأســيســية): وهي الدرجة الأولى التي انطلقت من خلالها وبعدها جميع الدراســات التي تناولت الصــورة من الناحية السيمولوجية، وكان من أهم أعلامها في المرحلة الأولى دي سوسير، وبيرس، وعلى الرغم أنهما لم يفصّــلا القول فيها في دراسـتهما لها في تلك المرحلة إلا أننا نلمح الجذور الأولى لها عندهما، فمثلاً قام بيرس بتقسيمها إلى:

---

1 يراد بسيمولوجيا الصورة: فهم الأساليب الدلالية والعلاماتية للصورة اللسانية التي تقع بين أيدينا ثم ترجمتها لسانياً بالأسلوب الحداثي، والسيموطيقا: التفكيك للدلالات.

الصورة عند بيرس



وبهذا التقسيم جاءت الدراسات اللاحقة معتمدة عليها في مجال دراسة النصوص أو المرئي أو المسموع وما إلى ذلك.

2- المرحلة الثانية (الفنية أو التشكيلية): والتي صبّت اهتمامها على تحليل دلالات الصور في الأعمال المرئية، وليس النصية.

3- المرحلة الثالثة (التصنيفية): وقام الاهتمام فيها على التفريق والخلاف بين دراسة الصورة من الناحية اللغوية وبين دراستها من الناحية البصرية كالسينما وغيرها.

4- المرحلة الرابعة (النصية): وهي المرحلة التي نريد التركيز عليها كونها تمسّ دراسة الصورة في القرآن الكريم من الناحية اللسانية، وقام تركيز اللغويين فيها على دراسة جميع أنواع النصوص من الناحية اللسانية واعتبارها كنص حتى ولو كان بعضها مرئياً. [1]

---

[1] انظر: جميل، حداوي، **سيموطيقيا الصورة البصرية**، ص503.

لقد قامت الدراسـات اللسـانية على النص القرآني؛ لأنه يمثل أعلى مراحل الرفعة في الإعجاز والدلالة الفنية واللغوية والجمالية؛ إذ يحتل القرآن أعلى قمة في التعبير والأســلوب والتصــوير، كما أنه الميدان الرحب لتطبيق الدراسـات اللسـانية للصـورة ولغتها الإشـارية فيه، وهو المحور الأســاس للدراســات اللغوية والنقدية قديمها وحديثها، كما أنه كما يذكر زكي مبارك: "ليس في اللغة العربية كتاب منثور شُــغل به النقـاد غير القرآن. فهو ظـاهرة لعقليـة العرب الفذة، وخير من يـدلـل على دور القرآن وجلالة قدره في الدراســات اللغوية الرافعي؛ إذ يذكر أنهـا قـامـت في العرب قبـل دولـة الكلام ولكن دون مَلِك، حتى جـاء القرآن وأصــبح الملكَ فيهم. وأن لغة العرب قبل القرآن كانت مفردات فانية حتى جاء القرآن فجعلها خالدة بدوامه وحفظه. (1)

إنّ تحليل الصـورة عبر السـرد القرآني يقوم على دعامتين، الأولى هي الدعامة أو البنية السطيحة: وهي تتناول السرد للنص القرآني من خلال التركيب والمعنى الســطحي، والثانية: وهي تقوم على دراســة النص القرآني بســرده من خلال البنية العميقة، وهي البنية الماورائية للفظ من دلالات وإشــارات لســانية تعتمد على التحلل اللســاني في

[1] انظر: عمر، السلامي، **الإعجاز الفني في القرآن**، نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، ص 49.

استنباط المعاني والدلالات للصور في مكامنها وسياقاتها ضمن النص.

يذكر الدكتور أسامة جاب الله في دراسته للسرد القرآني في قصة ذي القرنين سيمولوجياً أن التعامل مع الرمز (الصورة) أو العلامة في النص القرآني يندرج تحت ما نسميه هيئة، فالرمز (الصورة) بمعناه تقوم على تعاملنا معها كنص ناطق بغير لغة، نقصد إلى المعنى من خلال دلالات الصورة وما تتضمنه من معان، كما أن النص القرآني في دراسته السردية من الناحية السيمائية هو الإشارة إلى المعاني من غير جسد أو حركة جسدية، فهي العلامات (الصورة) الإشارات والرموز التي تخبر بالمعاني والدلالات الصادرة عن السارد المعجز بنصه القرآني، وهو الله سبحانه وتعالى. [(1)]

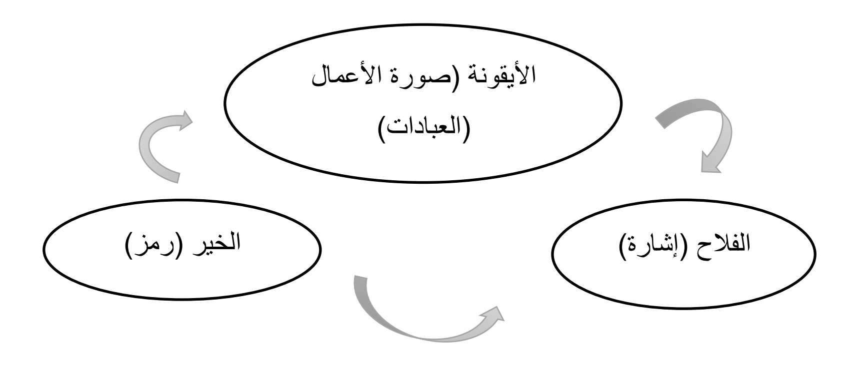
وتخضع الصورة في النص القرآني أيضاً لعالمين من الإدراك كما يذكر سعيد بنكراد في حديثه عن اللسانيات وتطبيقاتها؛ إذ ذهب إلى أن فهم النص من خلال الصورة يقف على نوعين من الإدراك ولابد من التمييز البالغ الأهمية بينهما، الأول: ينطلق من المساعد لنا في إدراك الصورة؛ أي: كيف ندرك هذه الصورة في السياق (القرآني)

---

[1] انظر: أسامة، جاب الله، **جماليات السرد القرآني في قصة ذي القرنين:** دراسة سيميائية، مجلة علوم إسلامية، ع 45، عام: 2010م، ص 10.

والثاني: ينطلق إلى الآلية النصـية للقرآن الكريم في إنتاج هذه الدلالة أو الإدراك لها من قبلنا؛ أي: كيف يأتي المعنى إلى الصورة؟ فالتفريق بين الإدراك اللســاني للسـياق القرآني من خلال الفصــل بين هذين المســتويين يقودنا إلى الاعتراف بقداســة النظم القرآني ومكامن الإعجاز فيه وهي مما لاتقف وتنتهي الدراسات حول توافرها وتجددها في كل زمن ووقت. [1]

ولعلي أضـرب بعض الأمثلة لدراستنا للصـورة في السياق القرآني من خلال اللســانيات، والنموذج الأول أعيده إلى تحليل الصــورة في الســياق عند بيرس، من ذلك الآية الكريمة: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [2] وذلك من خلال النمط الثلاثي (الرمز– الإشارة– الأيقونة)

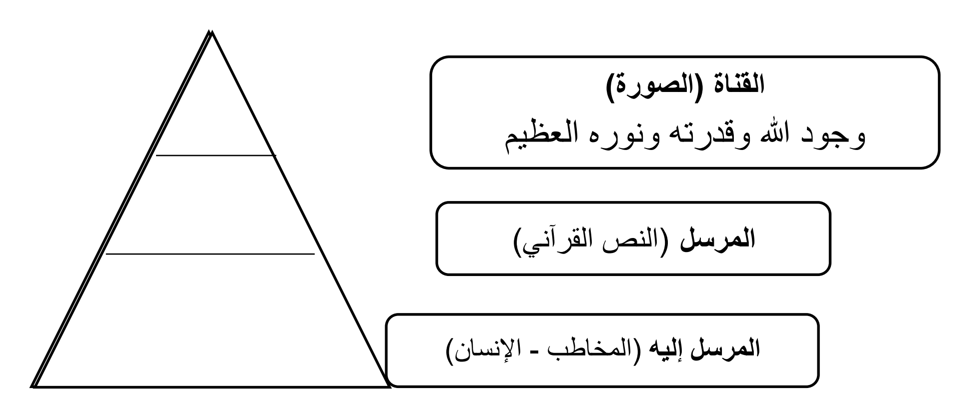


---

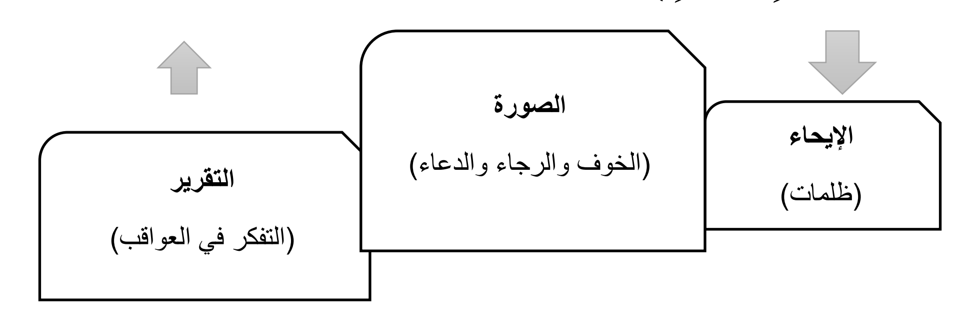
[1] انظر: سعيد، بنكراد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ط3، دار الحوار، اللاذقية، 2012م، ص 116– 117.

[2] سورة المؤمنون، الآية 1.

والنموذج الثاني للصورة في النص سأجعله مرتبطاً بالتواصل السيمولوجي عند رومان جاكبسون: (المرسل– المرسل إليه– القناة) ولعلي أضرب مثالاً، قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [1]



وكذلك نذكر من الصورة ودلالتها في النص والتي ندرس دلالاتها فيه، وهو النص القرآني الثنائية عند رولان بارت (الإيحاء– التقرير) وسنحاول تبيانه من خلال الآية في قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾



[1] سورة النور، الآية 35.

وتذهب الباحثة والأستاذة الفرنسية مارتين جولي إلى أن تطبيق التحليل لدلالات الصورة وتفسير المعاني يقوم بمهام عديدة، تتضافر هذه المهام لتشكل الفهم العام للصورة وعلاقتها السميائية بتفسير النص القرآني، فهي تذكر أن تحليل الصورة لايقف عند ذوق أو نص معين، بل لكل قارئ أو متلقي للنص الذي يدرسه حرية الاختيار في التحليل للصورة التي يريد دراستها في أي نص ديني كالنص القرآني المقدس أو النص الأدبي كالشعر والنثر والخطب وما إلى ذلك. (1)

إن دراسة النص القرآني من خلال الصورة لا يقف في مجال التحليل لأبعادها عند حدود السعادة التي يحدثها في نفس الدارس والمحلل للنص عبرها، بل تزداد اللذة معه حينما يقوم بتطبيقها على النص القرآني للمجيء بالجديد وغير المسبوق إليه، وهو ماتؤكد عليه مارتين جولي بقولها: "إنّ وجود ملكة التحليل- أيا كان موضوع التحليل- يتوافق على الأرجح مع طباع شخصية معينة، حيث يمكننا في الحقيقة أن نتساءل عن خيال المحلل، فيرتبط خياله بالرغبة في الوصول لفهم أكبر للأشياء، مما يتطلب بالتالي وجود نزعة تفكيكية في الفكر من أجل التوصل إلى كيفية عمل الشيء موضع التحليل،

---

[1] انظر: مارتين، جولي، **مدخل إلى تحليل الصورة**، تر: جيهان عيسوى، أكاديمية الفنون، عام: 2011م، ص51.

مثل من يقوم بفك لعبة من أجل اكتشــاف كيفية عملها... وينبع ذلك على الأرجح من الرغبـة الموجودة لـدى الشـــخص في التمكن من الشيء موضع التحليل والإلمام بكل دلالاته وتفاصيله". [1]

وقد تبعث الصـورة في النص القرآني دلالاتها من الجانب النفسـي فتكون ميداناً لكثيرٍ من الدراسات والاجتهادات اللسانية؛ فالقرآن الكريم هو السـياق النصـي المعجز الذي يشـحن هذه المجالات جميعاً، فهو الخطـاب والنص المتجـدد، وهو نص يتســـم بـالجـدة والابتكـار في الدرسات اللسانية في مواضـع الآيات القرآنية جميعاً، وليس في جانب أو موضـــوع واحدٍ من النص القرآني؛ إذ جميع الآيات القرآنية مهما تنوع طرحها ومضـــمونها ودلالاتها، كالعقيدة أو الفرائض أو أبواب الفقه، أو القصص القرآني، أو غير ذلك، إذا نحن نظرنا إليها ودرسنا دلالتها من الناحية اللسـاينة (الصـورة) وجدناها تخاطب العقل والقلب، وليس العقل فقط، فليسـت هي بالألفاظ والعبارات الرتيبة، التي يضـيق بها سـامعها أو قارئها- حاشـا- ولاهي بالمعاني المجردة الغامضـة، التي تثير اللبس والإبهام والغموض... وإنما هي الجامعة في إطارها لرونق اللفظ ورشيق المعاني وجمال الاتساق؛ حتى أضـحت وصـارت تلك الصـورة حية نابضـة يملأها الخيال، فلا يمكن ولا يكاد أن ينتهي

[1] السابق، ص 52.

عنها إلا وقد انطبعت في النفس، وأثرت في الحس وأقنعت العقل وأقنعت الوجدان. (1)

لعلّ دراسة الصورة في النص القرآني من خلال اللسانيات هي من أمتع الدراسات؛ وذلك كونها في الأصل تجول وتنطلق بخيال المتلقي إلى الماضي وغيبه عبر المنهج الاسترجاعي، والصورة عند تطبيقها في ميدان القصص القرآني المقدس تظهر أكثر وضوحاً من خلال منهج المحايثة، وهو المنهج الذي ينادي به السميائيون في دراسة النصوص والوقوف عليها سيميائياً؛ وذلك من خلال الابتعاد عن ظروف ومراحل تكون النص، والاقتصار على دراسة النص القرآني من وإلى ذاته كنص مبارك معجز ومقدس؛ وبذلك تظهر جمالية الصورة في اللسانيات؛ إذ تنطلق من النص القرآني صاحب الكمال ودلالات الجمال اللامتناهية.

وخلاصة القول: إنّ تطبيق الصورة في ميدان النص القرآني من الناحية السيميائية سيكون له الأثر الأكبر والأقوى في تفسير النص القرآني؛ لأنه يحمل شحنة من تطوير الدراسة والإحاطة بالصورة في سياقها القرآني، وسيكون أيضاً في طياته وتمثله سيلاً ومنبعاً من

---

[1] انظر: صلاح الدين، عبد التواب، **الصورة الأدبية في القرآن الكريم**، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1995م، ص4.

الآفاق التجديدية في مجال الدراسات اللغوية المعاصرة للنص المبارك (القرآن).

ثالثاً: التحليل اللساني للسياق القرآني

تجول النظرية السياقية النصوص القرآنية في جميع مواضعها؛ إذ لا نجد مكاناً من السـياق القرآني إلا وهو موضـع من المواضـع الصالحة لتطبيق النظريات السياقية في التحليل اللساني، فالسياق هو الوجه الآخر للدلالة القرآنية في تفسير النصوص وتحليها عبر وسائله ومواطنه ومفاتيحه بشكل عام.

لقد أخذت النظرية السياقية مكانة كبيرة في ميدان التحليل والدرس اللسـاني الغربي، فكان مجالها واسـعاً وما ذلك إلا لأهميتها في فهم النصوص والمكامن التي تستتر وراءها، وكان رائد النظرية السياقية الأول العالم الإنكليزي (فيرث) فقد كان من المعلوم عنده أن دلالة الكلمة في السياق لا تأتي ولايستطيع المتلقي أن يستشفها إلا من خلال معرفة معانيها من خلال وضعها في سياقات متعددة. فالسياق وفق هذه النظرية هو الذي يمنح الكلمة المفردة دلالاتها ومعناها، فهي لاتملك شيئاً، ولاتحقق غاية إلا من خلال السياق وسلطته. وهي النظرية السياقية التي قد سبق ذكرها الجرجاني قبل فيرث بزمن كثير؛ إذ قال:" واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسـك علمت علماً لا يعترضـه الشـك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضـها ببعض، ويبنى بعضـها على بعض، وتجعل هذه بسـبب من تلك، هذا ما لا

يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس".[1] إلا أن ذكر الجرجاني لها كان من خلال المفاهيم الأولية دون التفصـــيل في الميدان اللغوي والحديث كما عند فيرث.

إن دراســـة الســـياق القرآني من خلال المنهج اللســـاني التداولي انطلقـت مبكراً في دلالات البلاغيين العرب، فقـد وردت عنــدهم مصـــــطلحات وتعابير وجمل بلاغية تشـــير إلى ذلك منها: "مطابقة الكلام بمقتضى الحال" و" لكل مقام مقال" و "لكل كلمة مع صاحبتها مقام" .[2] وهذه العبارات لم تكن قائمة على المســـتوى النحوي للكلمة أو العبارة، بل فيها الدلالات اللسانية العميقة للعلاقة بين النص وحال القال والمقال، وهذه الإشـــــارات والتعابير هي ما تم تأكيده عند تمام حســـــان بأن البذور الأولى للنظرية الســـياقية كانت من العرب، ثم ظهرت في الدراســات اللســانية الغربية الحديثة، ويعترف لهم بالســبق والفضـــــــل. يقول:" ولقد كـان البلاغيون عنـد اعترافهم بفكرة المقـام متقدمين ألف ســـنة تقريباً على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي (المقام والمقال) باعتبارهما أســاســين متميزين من أســس تحليل المعنى يعتبر

---

[1] عبد القاهر، الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص45.

[2] عبد القادر، جعيد، **أثر السياق اللغوي وغير اللغوي في إبراز المعنى التداولي في العربية**. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، عدد: 1، عام: 2021م، ص4.

الآن في الغرب من الكشـــوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة، وفكرة (المقام) هذه هي المركز الذي يدور حول علم الدلالة الوصــفية في الوقت الحاضــر وهو الأســاس الذي يبنى عليه الشـــق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء (المقال)". [1]

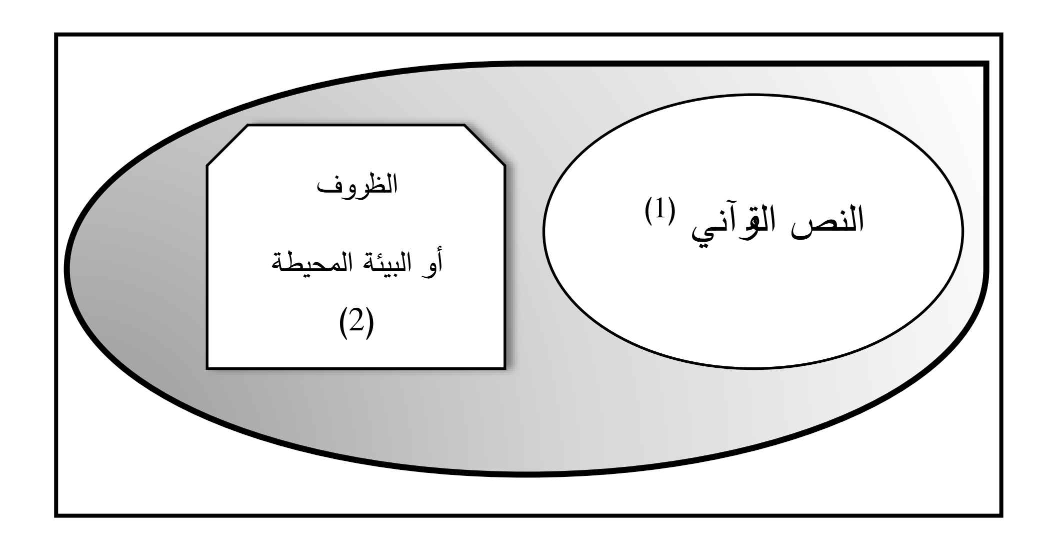
ونرى تلك الإشــارات قد ظهرت في التعريفات والدلالات اللســانية الحديثة عند علماء الغرب، فبهذه المعاني يذهب جون ديوي إلى معنى الســياق الاجتماعي حيث يقول:"الســياق هو مجمل الشــروط الاجتماعية المتفق عليها، التي تؤخذ بعين الاعتبار لدراســة العلاقات الموجودة بين الســلوك الاجتماعي واســتعمال اللغة وهي المعطيات المشــتركة بين المرسـل والمرســل إليه والوضــعية الثقافية والنفســية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما". [2]

---

[1] تمام، حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام: 1979م، ص 337.

[2] انظر : Jen Dubois ,dictionnaire de Linguistique et des sciences du langage,Larousse2eme Edition,1999 ,p116.

والسياق في العموم ينقسم إلى قسمين كما تحدد أغلب الدراسات اللسانية، القسم الأول منه يعود إلى الظاهرة اللغوية (النص) والقسم الثاني يعود إلى المحيط؛ أي: ما يحيط بالنص من ظروف على تعدد مشاربها(اجتماعية- نفسية- تاريخية- اقتصادية...) وهذه الظروف تنعكس بشكل مباشر على النص وتؤثر فيه دوماً، والذي نحن عليه في دراسة النص القرآني عبر السياق أنّ الدراسة للنص القرآني يجب أن تبدأ من القسمين معاً، فلا يمكن لنا أن ندرس النص القرآني من خلال السياق اللغوي فقط، بل لابد من الإحاطة بالظروف التي أنتجت هذا النص القرآني الجليل من خلال (ظروفه المحيطة به)، وهذا شكل نوضح من خلاله العلاقة بين المستويين: السياق اللغوي الأول: (النص القرآني) والثاني: (الظروف أو البيئة المحيطة)



ولننظر في تحليلنا للسياق القرآني بمستوييه اللغوي وغير اللغوي في الآية الكريمة لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾ (1)

1- نستطيع أن ندرس في المستوى الأول العلاقات اللغوية للسياق من ناحيته اللغوية: (كصيغة الطلب+ ظرف الزمان+ صيغة النفي وغيرها مما يمكن الوقوف عليه من ناحية اللغة).

2- نستطيع أن ندرس في المستوى الثاني البيئة المحيطة التي أنتجت النص وخلصت إليه: (كحالهم وإنكارهم+ الأسباب التي قادت إلى ذلك+ موقع التنزيل+ أسباب النزول+ في مَنْ نزلت... وما إلى ذلك من أحوال وظروف البيئة المحيطة في مجالاتها الكلية من نفسية واجتماعية وزمانية ومكانية ومما يندرج تحت دراسة السياق القرآني للآية لسانياً من خلال السياق غير اللغوي).

وقد ألمح اللغويون في درساتهم للنص القرآني إلى أهمية النظريات السياقية في فهم النص القرآني (الآية) المدروسة، فابن الأثير يؤكد أن كل لفظة في السياق القرآني وضعت بحيث لاتستطيع لفظة أخرى ولو كانت مرادفة لها أن تقوم مقامها وتعطي دورها من حيث الدلالة

---

[1] البقرة: 123.

وتوجيه المعنى في ذلك الموضـــع، ويضـــرب لذلك مثالاً الفرق بين لفظتي (جوف وبطن) في قوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي **جَوۡفِهِۦ**﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي **بَطۡنِي** مُحَرَّرًا﴾ [2] فاستعمل (الجوف) في الأولى و(البطن) في الثانية، ولم يســـتعمل (الجوف) موضـــع (البطن) ولا (البطن) موضـع (الجوف) واللفظتان سـواء في الدلالة وهما ثلاثيتان ووزنهما واحد. [3]

ولاريب أن الســياق في اللســانيات لا يقود إلى تأويل النص على وجهه الصـحيح إلا بطريق الإلمام بجميع الجوانب، فاللسـانيون يرون أنه لابد من تقسـيم النص عند تأويله إلى مسـتويات عديدية، تبدأ من المســـتوى اللغوي؛ أي: المادة اللغوية للســـياق، وكذلك المســـتويات الأخرى، كالمســـتوى العاطفي، والمهمة فيه الكشـــف عن الحالة الوجدانية، والسياق الذي يرتبط بالموقف (سياق الموقف) ومن خلاله لابد من الإلمام بالظروف المحيطة والبيئة، ومن أهم السياقات عندهم

---

[1] سورة الأحزاب: 4.

[2] سورة آل عمران: 35.

[3] انظر: محمد سليمان، ياقوت، **علم الجمال اللغوي (المعاني، البيان، البديع)**، دار المعرفة الجامعية، مصر، عام: 1995م، ص 304.

في تأويل النصـــــوص والقرآن من أعلاها مرتبة وأهمها الإلمام بما يسمى بالسياق الثقافي؛ أي الكلام أو الجمل أو الخطاب الذي يترجم الحال الثقافية لحضـــارة أو مجتمع معين، ففي قوله تعالى مثلاً: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَـــآئِبَةٍ وَلَا وَصِـــيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾[1] عند دراســـة السياق ونظرياته في هذه الآية دون السياق الثقافي والعودة إلى معاني الكلمات في العصـــــر أو المجتمع الجاهلي؛ فذلك يكون من المحال ومما لافائدة منه؛ لذلك وجب التنويه على الســـياق الثقافي ودوره في تشكيل المعنى ودلالات السياق وتموضع الكلمات وسبب كل علامة أو إشارة للدلالة ومافيها. [2]

وعودة إلى العالم الإنكليزي فيرث والذي جاء وكانت له الأيادي البيضـــاء في نظريته الســـياقية، وكان يهدف من خلالها إلى أن تتم دراســـتنا للغة من خلال وظيفتها الاجتماعية؛ أي: دراســـة اللغة أو الســـياق النصـــي كجزء من المســـار الاجتماعي، أو كونها تعبر عن شـــكل من أشـــكال الحياة الإنســـانية، ليس كونها كإشـــارات، فدلالات

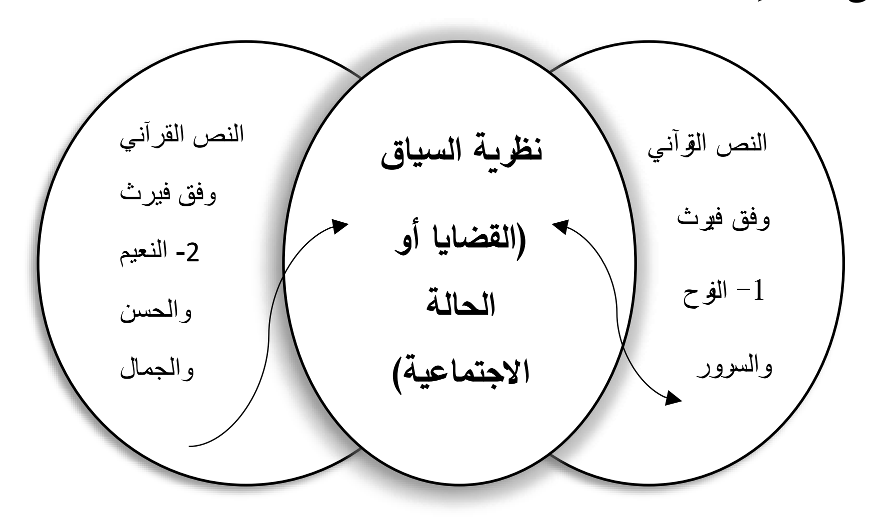
---

[1] سورة المائدة: 103.

[2] انظر: محمد، شتوان، **السياق وتأويل النصوص نموذج من النص القرآني**، مقال، ص304- 306.

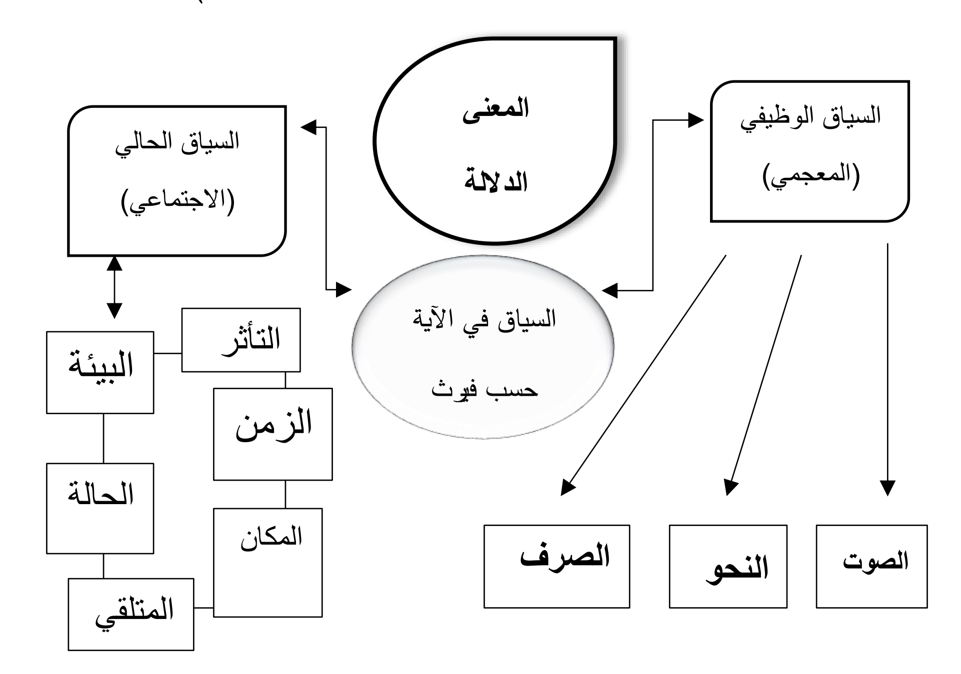
اللغة (السياق) عنده تتحدد من خلال ارتباطها بالوسط أو القضايا الاجتماعية التي أنتجتها حسب زعمه.

ولعلّ الصورة ونظرية السياق عند **فيرث** تتضح بشكل أفضل من خلال تطبيقها على النص القرآني عبر بعض الأمثلة، ونرى من هذه الأمثلة قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[1] حال السياق في هذه الآية يرتبط بحال السرور والفرح العظيم بنعيم الله والنظر إلى وجهه الكريم عز وجل، فالوجوه من نعيم الله أصبحت ناضرة مشعة ممتلئة بالنور، كما يقال: نَضُرَ وجهُ فلان: إذا حَسُنَ من النعمةِ.



[1] سورة القيامة: 22- 23.

وسيكون التفصيل لنظرية السياق في الآية الثانية أكثر من خلال التقسيم الذي ذهب إليه فيرث، كاختيارنا لقوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾. فهو يذهب إلى أنه لابد من دراسة السياق من خلال بابين كبيرين الأول منهما يفتح مصراعيه على دلالة السياق الوظيفي أو المعجمي للكلمة في السياق (النص)، والثاني يفتح مصراعيه على دلالة السياق الحالي(الاجتماعي). ويندرج تحت السياق اللغوي الوظيفي أو المعجمي كما نعلم ويذكر(الصوت- النحو- الصرف)، ويندرج تحت السياق الحالي (شخصية المتكلم والسامع- التأثر والتأثير بينهما- العوامل الاجتماعية: الزمن- المكان- البيئة- الحالة...) ولننظر:



فلابد لنا من دراســـة دلالات الآية وســياق النص فيها من خلال المستويين الآنفين الوظيفي بما يحتويه من النحو والصرف والصوت والمســتوى المقامي (الاجتماعي) بما يحتويه من (الشــخصــية وهنا (النص) والمتلقي (القارئ- الســامع) و(التأثير والزمن والمكان والبيئة والحالة وغيرها). وبعد ذلك تتضــح لنا صــورة المعنى المتكاملة عند فيرث في هذه الآية والتي جاءت لمعاني الندم والإحســاس بالضــعف (ظالم لنفســه) والاســتلاب وموت الإرادة وما إلى ذلك من الدلالات الناتجة عن تشريح السياق بالنظرية اللسانية عنده.

والخلاصــة أن نظرية السياق في دراسة النص القرآني عالم رحب في مجال الدراسات اللسانية الحديثة، ومن المهم لنا أن نستثمر هذه الدراســات الحديثة للوصــول إلى لذة اللغة ومكنوناتها المتجددة. فلقد بات من المهم واللازم أن نسير بالنص القرآني عبر النظرية السياقية إلى آفاق جديدة تبتعد به عن الســابق والخاضــع للرتابة؛ فالعلم واللغة يتجددان في كل تطور للزمن وتقدم لغوي وحضاري.

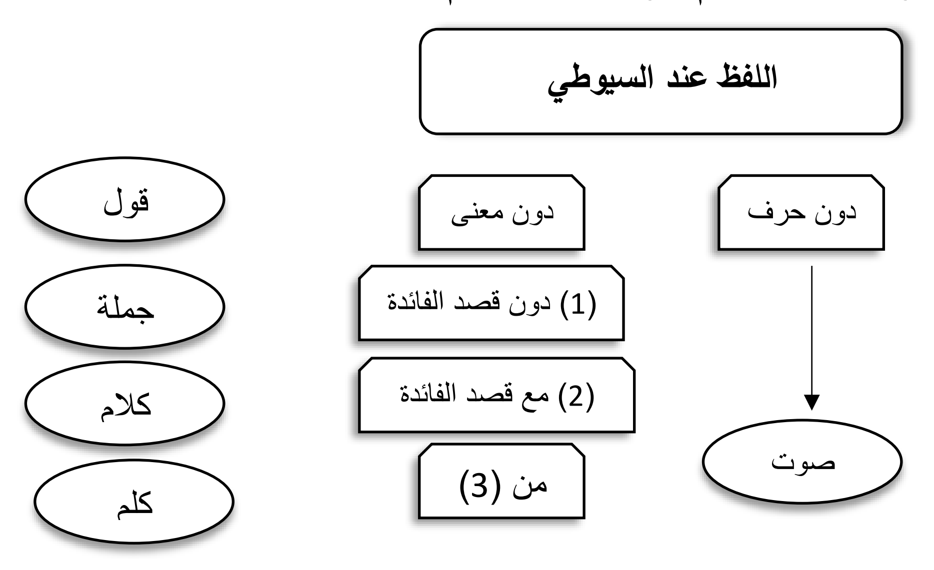
رابعاً: ملامح البعد اللفظي ودلالات النص القرآني

يشـــكل البعـد اللفظي الوجـه الأول من وجوه علم الـدلالـة في اللسـانيات وقراءة النصـوص القرآنية؛ إذ إنه متلازم لا ينفك عنه، فهو والمعنى كـالنـار والـدخـان، أو كوجهي العملـة الواحـدة، وتـأتي أهميـة اللفظ في الدلالات اللسـانية كونه المصـدر الذي تنطلق منه النظريات والطروحـات والتـأويلات والتـأملات للوصـــول والولوج إلى الـدلالـة (المعنى).

إن البعد اللفظي في المحيط اللســاني ينكشــف عبر بوابة النحو؛ فالنحو هو الأب الروحي للتركيب ودلالات الســياق المدروس (النص القرآني)، فينغي الدخول من خلال البعد اللفظي إليه لإكســاب النص صــفة الجدة والابتكار؛ فالبعد اللفظي هو المعنى، وهو المعنى المهم في حياة الإنســـان، ولا يمكن أن ندركه أو نحيط به إلا إذا تســـلحنا بالمعرفة الخاصـــة (اللســـانيات والبعد اللفظي) ويتم التركيز في هذه المعرفة الخاصــة على الطرق والأســاليب اللســانية التي نتوســل بها (البعد اللفظي) لاســتقبال المعاني الصــادرة عنه، وعلى الســبل التي ينتجها في إدراكنا لعناصر المعنى وما يخفيه البعد اللفظي، ثم نتوسل بالأدوات التي كانت عائقاً في البداية ثم أضـحت وسيلة لنا في تأويل النص القرآني وقطف ثمرة المعاني من خلالـه، فلكل مظهر من هذه

المظاهر أو الطرق أو الوسـائل الأهمية البالغة في انتظام واسـتواء الدلالة عبر بعدها اللفظي وسـلطته في الوقوف على النص القرآني الكريم.[1]

ولنبدأ بالبعد اللفظي من خلال اصـطلاحه عند السـيوطي، فقد قسـمه إلى أقسـام عديدة، يقول: "ما خرج من الفم ولم يشـتمل على حرف **فصوت**، وإن اشتمل على حرف ولم يفد معنى **فقول**، فإن كان مفرداً **كلمة**، أو مركب من اثنين ولم يفد نسبة مقصودة لذاتها **فجملة**، أو أفاد ذلك **فكلام**، أو من ثلاثة **فكلم**".[2]



---

[1] انظر: عبد السلام، المسدي، **العربية والإعراب**، دار الكتاب الجديد، بيروت، عام: 2010م، ص12.

[2] السيوطي، **الأشباه والنظائر في النحو**، تح: عبد العال مكرم، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: 1985م، ج3، ص 5.

يخضـــــع البعد اللفظي إلى نوعين من الدلالات في اللســـــانيات وعلاقتها بالنص القرآني، وهاتان الدلالتان تنقسمان إلى دلالة وضعية لفظية، ودلالة وضعية غير لفظية:

1- **الدلالة الوضـــعية اللفظية**: ويراد بها الوصـــول أو الانتقال إلى الدلالة عن طريق اللفظ أو الصوت وهي على ثلاثة أقسام:

أ- الوضعية **اللفظية**: كدلالة لفظ بيت على مطابقة معنى بيت.

ب- اللفظية **العقلية**: كدلالة الصوت على وجود صاحبه أو حياته.

ج- اللفظية **الطبيعية**: كدلالة (أح) على صـــوت وجع الصـــــدر والسعال.

2- **الدلالة الوضـــعية غير اللفظية**: وهي التي لايمكن الانتقال بها إلى المعنى عن طريق اللفظ بل بطرق أخرى، وهي على ثلاثة أقسام:

أ- الوضعية غير اللفظية: لبس السواد للحزن والحداد.

ب- الوضعية العقلية غير العقلية: كدلالة الدخان على النار.

ج- الوضـــعية غير الطبيعية: خلق الإنســـان، حمرة الوجه على الخجل، اصفرار الوجه على المرض... إلخ.[1]

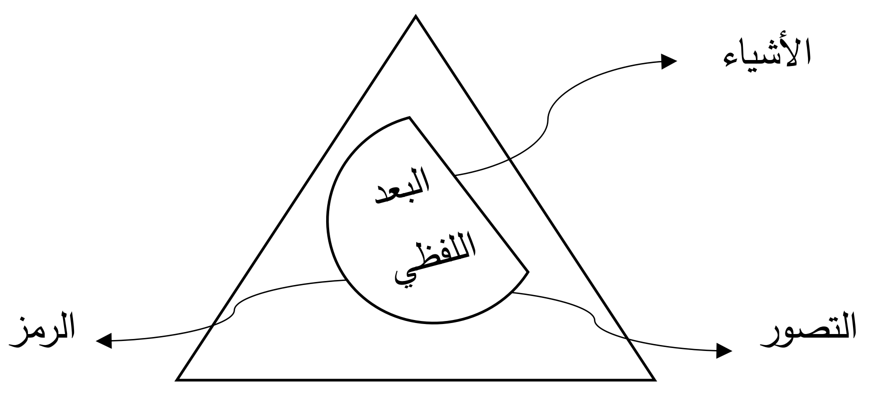
لقد حتمت اللغة التواصـلية على الإنسـان في محيطها الاجتماعي أن يلجأ إلى الصـوت في مرحلة أولى ولم يكن الصـوت هو الأسـلوب الكافي للفهم؛ إذ يقع في بحبوبة من الخلط، لذلك جاء اللفظ للانتقال إلى الإدراك وترسيخ الدلالة والمعنى.

تتضـح صـورة البعد اللفظي في اللسـانيات مع تحليل النص القرآن من خلال درسنا وطرحنا لقضـاياه عند بعض التيارات اللسانية، وعلى رأسـها (نظرية البعد اللفظي) أو ما نسـميه (**مثلث البعد اللفظي**) عند (أوغدن وريتشـاردز) فهي تنطلق في الزاوية الأولى من (**الأشـياء**) ثم إلى (**التصـور**) ثم إلى زاوية المثلث الأخيرة (**الرمز**). فزاوية الأشـياء تشـمل (الأحداث- الوقائع- الأنواع- الموضـوعات) وتشـمل زاوية التصـور (المعـاني- المفـاهيم- الفكر..إلخ) وتـأتي زاويـة الرمز (الدلالة- كمال التحليل ... إلخ).[2]

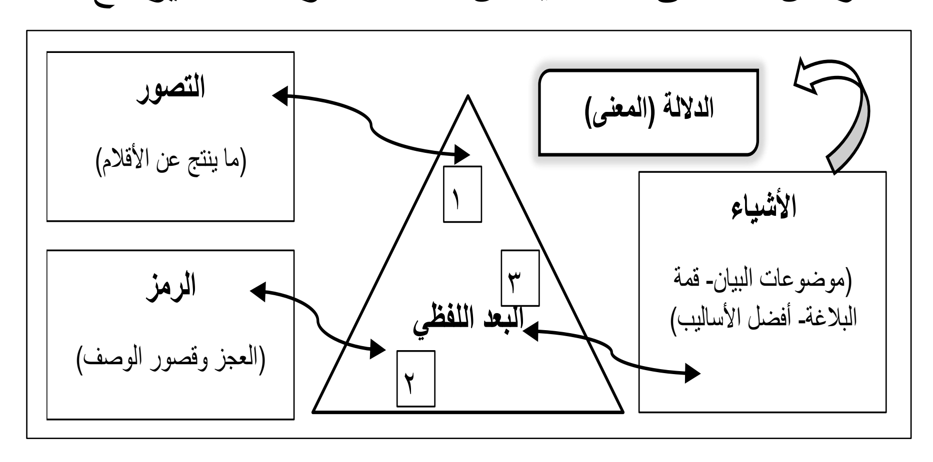
---

[1] انظر: يعقوب، حسين، **طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين**، ط2، مكتبة الراشد، عام: 2001م، ص 58.

[2] انظر: محمود، عكاشة، **الدلالة اللفظية**، مكتبة الانجلو المصرية، ص27- 29.



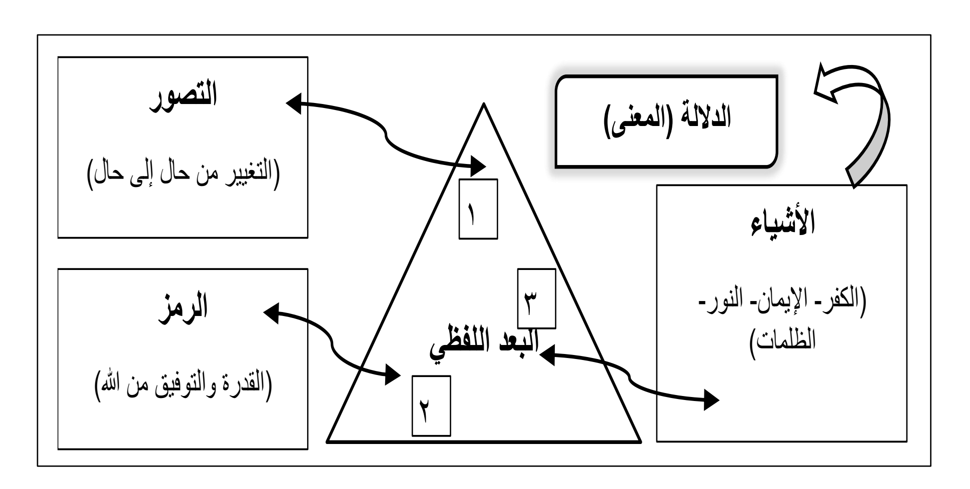
وإليكم بعض الأمثلة لشـــرح نظرية (مثلث البعد اللفظي) من النص القرآني المبارك، منها نختار قوله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[1] إذ يتكون من محيط اللفظ الدلالة الثلاثية بين الأشياء– التصور– الرمز... وهي تقود إلى المعنى الكامل، وإن كان قاصراً عن أداء حق هذه الآية من الدلالات، وهذا شكل يوضح:



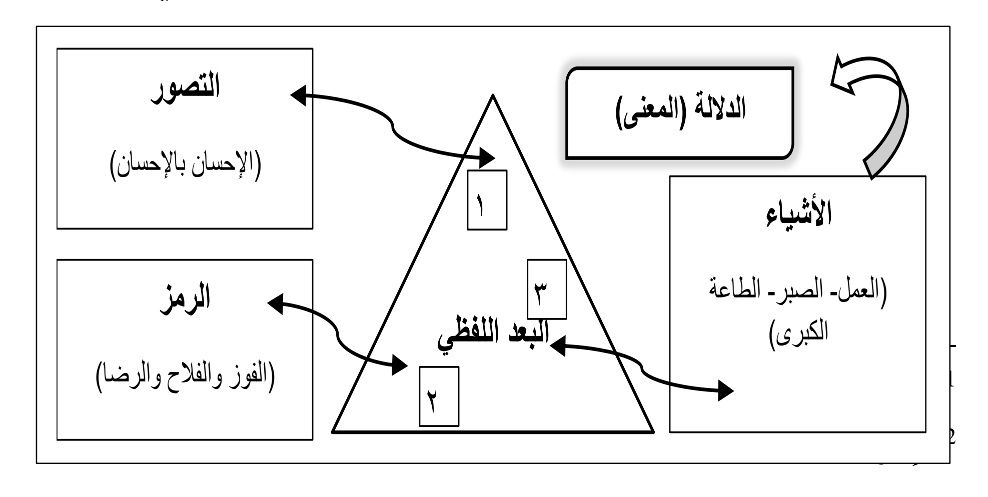
---

[1] سورة لقمان: 27.

ومن الأمثلة الأخرى نختار قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[1] في ملمح وصـــورة الإخراج من الكفر إلى الإيمان من ظلمات المعصية والكبائر إلى نور الهداية والطاعة، وهذ الشكل:



ومنها نختار صـورة من أعظم صـور وفلسـفة الحياة والتي تدعو إلى رد الجميل بالجميل؛ أي:(طاعة الوالدين) قال تعالى: ﴿وَاخفِض لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحمَةِ﴾[2] وهذا شكل مثلث البعد اللفظي:



وبما أن اللفظ هو مفتاح المعاني وهو المغلاق لها، يرى العالم اللساني الهولندي **باروخا سبينوزا** (1677) أن اللفظ هو الجزء الذي لا يتجزأ من مخيلة الإنسان وفكره، ولعل ذلك يتضح في علاقته بالسياق والنص؛ فمن يقوم بتحليل النص القرآني وفق قضية اللفظ وعلم الدلالة يدرك أهمية ما يذهب إليه ويلمح إلى ذكره؛ يقول: "إن اللفظ جزء من مخيلة الإنسان، فتدل الألفاظ على الأشياء كما تبدو هذه الأشياء في المخيلة، إن الألفاظ اللغوية علامات دوال للأشياء على ماتكون عليه هذه الأشياء في المخيلة (الفكر) لا على نحو آخر، وبما أن للمخيلة علاقة بالعالم المحسوس؛ فإن للكلمات هذه العلاقة كذلك".[1]

وعند الحديث عن دور البعد اللفظي في تفسير النص القرآني نؤكد على أفضلية وأسبقية اللفظ في الإشارة والدلالة على المعنى، وهذه الأسبقية تأتي من خلال دور اللفظ في وصول العقل إلى المعنى؛ أي: لا لفظ لا معنى- فالمعنى دون لفظ محال. فالإعجاز لايفسر كما نعلم إلا عن طريق النظم، و عبر دور النظم في بيان ملامح الإعجاز لايمكن له أن يأتي بشيء من تلك الملامح أو القيم

---

[1] اساري، حسن، **اللغة والمعنى**، دراسة في فلسفة لودفيج فتغنشتاين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، عام: 2011م، 65- 66.

دون ذكر اللفظ (النظم) لبيان المعنى وما يحتويه السياق القرآني من صور الإعجاز وسحر البلاغة، يقول أبو هلال العسكر في أهمية اللفظ ودوره في سبك المعاني وصك صورها: "ومن الدليل على أن مدار البلاغة على تحسين اللفظ أن الخطب الرائعة والأشعار الراقية ما علمت لإفهام المعاني فقط، لأن الرديء من الألفاظ يقوم مقام الجيد منها في الإفهام، وإنما يدل على حسن الكلام، وإحكام صنعته، ورونق ألفاظه، وجودة مطالعه، وحسن مقاطعه... رونق ألفاظه" ويذهب في موضع آخر إلى ذكر تقديم اللفظ على المعنى ونسب الجمال والقبح في الأسلوب بالرجوع إليه، يقول: "معظم مدار البلاغة على تحسين اللفظ، لأن المعاني إذا دخل بعضها في بعض، وكانت الألفاظ مختارة حسن الكلام، وإذا كانت مرتبة حسنة، والمعارض سيئة كان الكلام مردوداً".[1]

ولا يبصر المعنى إلا من خلال اللفظ؛ فهو العين التي نرى بها لسانيات النص القرآني، فالبعد اللفظي هو وسائل المعنى ومساربه وأنفاق تأويله اللامتناهية، وإن كان بعض اللغويين يذهب إلى عدم التفريق أو الفصل بينهما، **فشوقي ضيف** يرى أن" اللفظ والمعنى أو

---

[1] انظر: أبو هلال، العسكري، **الصناعتين في الكتابة والشعر**، تح: مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، عام: 1981م، ص 56- 57- 58- 195.

الصورة والمضمون ليسا شيئين منفصلين كالكأس وما يكون فيها من شــراب، بل هما مترابطان ترابط الثوب بماجته". ويذكر في موضـــع آخر أن "الفصـــل لا يرجع إلى القالب أو اللفظ، كما يبدو في ظاهره، وإنما يرجع إلى القدرة الفنية العامة التي تنبع من الأحاســـيس أو المعاني نفسها".[1]

ويســتدرك **محمد مندور** الأهمية بينهما دون التمييز أو التفضــيل لأحدهما على الآخر، بقوله: "المعنى الواحد لايمكن أن يعبر عنه إلا بلفظ واحد، فاللغات لاتعرف- ولايجب أن تعرف الترادف- وأمر الألفاظ كأمر الجمل، فالكاتب الحق، هو الذي لا يطمئن حتى يقع على الجملة الدقيقة التي تحمل ما في نفسه حملاً أميناً كاملاً، بحيث تصـــبح العبارة كجســـم حي لا يمكن أن ينتقص منه أو يزيد عليه شـــيء، والتحدث عندئذ عن العلاقة بين اللفظ والمعنى كالتحدث عن شـــفرتي مقص، والتســـاؤل عن جودة أحدهما كالتســـاؤل عن أي

---

[1] شوقي، ضيف، **في النقد الأدبي**، ط2، دار المعارف، مصر، عام: 1996م، ص164.

الشـــعرتين أقطع، وإنما لك أن تحكم على المعبر فتقيله كرأي معيب، أو ترفضه كرأي باطل".[1]

والذي يعينا في هذه القســـم هو البعد اللفظي ودوره في تشـــكيل معاني الســياق النص لســانياً، وذلك ســواء أكان الرأي ينســب إلى بعضـــهم بدور البعد اللفظي وأســـبقيته أم برفض التفريق والتمييز بينهما، فالبعد اللفظي أثبت حضـوره دوماً في ميدان لسـانيات النص، وقامت عليه كثير من الرؤى والأحكام والدراسات اللغوية، فلايمكن أن نغفل عن دوره في صـياغة المعاني اللسـانية من خلال النص القرآني الكريم.

---

[1] محمد، المقالح، **في الميزان الجديد**، دار نهضة مصر، القاهرة، عام: 1973م، ص123.

الخلاصة:

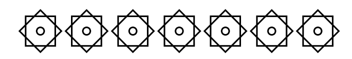
1- إن العلاقة بين اللســـانيات والنص القرآني قد قامت على التجاذب والخضـــوع لتيارات من النقد اللغوي في المحيط العربي؛ إذ كانت مبنية على أمواج من الرفض لوجودها ونقلها إلينا عن الدراسات الغربية الحديثة للنص الديني عندهم، وبين القبول والتأييد لها بكونها تفتح نافذة جديدة وتعطي المجال الرحب للدرس اللغوي العربي من خلال تطبيقها على النص القرآني وخدمته، والبحث عن معانيه بالأساليب الحديثة وعلى رأسها لسانيات النص وعلومه وتطبيقاته.

2- إن تطبيق الصـــورة في ميدان النص القرآني من الناحية السيميائية سيكون له الأثر الأكبر والأقوى في تفسير النص القرآني؛ لأنه يحمل شـحنة من تطوير الدراية والإحاطة بالصـورة في سـياقها القرآني، وســيكون أيضـــاً في طياته وتمثله ســـيلاً ومنبعاً من آفاق التجديد في مجال الدراسات اللغوية المعاصرة للنص المبارك (القرآن).

3- إن نظرية الســياق في دراســـة النص القرآني عالم رحب في مجال الدراســـات اللســـانية الحديثة، ومن المهم لنا أن نســـتثمر هذه الدراســـات الحديثة للوصـــول إلى لذة اللغة ومكنوناتها المتجددة. فلقد بات من المهم واللازم أن نسير بالنص القرآني عبر النظرية السياقية

إلى آفاق جديدة تبتعد به عن السابق والخاضع للرتابة، فالعلم واللغة يتجددان في كل تطوو للزمن وفي كل تقدم لغوي وحضاري.

4- إن للبعد اللفظي دوره في تشكيل معاني السياق النصي لسانياً، وذلك سواء أكان الرأي ينسب إلى بعضهم بدور البعد اللفظي وأسبقيته أم برفض التفريق والتمييز بينهما، فالبعد اللفظي أثبت حضوره دوماً في ميدان لسانيات النص، وقامت عليه كثير من الرؤى والأحكام والدراسات اللغوية، فلا يمكن أن نغفل عن دوره في صياغة المعاني اللسانية من خلال النص القرآني الكريم.



الفصل الثاني: القرآن الكريم ولسانيات الخطاب

يفتح القرآن الكريم – كونه الكتاب المقدس لدينا– الآفاق أمام الدراسين لمجالاته اللغوية على جميع الأصعدة والمجالات، ولعل من أهمها ومن بينها وأكثرها التصاقاً به لسانيات النص القرآني (لسانيات الخطاب) وذلك من خلال سياقات الخطاب التي تنتظم لتشكل مادة ثرة وأساساً متيناً للدرس اللغوي عبر الزمن منذ المحاولات اللسانية والنقدية الأولى إلى عصرنا الحالي.

لقد شغل القرآن الكريم أرباب اللُّغة من العلماء الأفذاذ في حقل لسانيات الخطاب ودلالاته؛ والذين بحثوا في نظمه وأسراره، كما حاولوا الخوض في إعجازه اللُّغوي إلى القدر المسُتطَاع لديهم؛ إذ إن الكلام القرآني ليس كبقيَّة الكلام والتَّركيب من الشعر والنثر، كما أنَّ في خاصية السياق القرآني ما لا يوجد في بقيّة التراكيب والسياقات الأخرى، وهذا ما منح اللغويين في الحقل اللساني المتفرغين للقرآن الكريم الفرص الكثيرة لمحاولة الغوص في معاني القرآن الكريم، واستظهار الأسرار والدلالات اللسانية في سياقاته وتراكيبه ونظمه المعجز والأخذ من فيوضه اللغوية التي لا تنقطع على مدى الأيام وتعاقب السنوات والدهور، وذلك لما اشتمله من عذوبة المعنى، ورقة

العبارة، وجمال الأسـلوب؛ إذ كان مُعجزاً بكلّ أسـاليبه وأغراضـه ومعانيه السّامية.

وقد عدد الزركشـي وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن بنحو أربعين وجهاً، وذكر منها:

1- الأول: خطاب العام المراد به العموم، كقوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾.

2- الثاني: خطاب الخاص والمراد به الخصـوص، من ذلك قوله تعالى: ﴿أَكفرتُم بعدَ إيمانِكُم﴾.

3- الثالث: خطاب الخاص والمراد به العموم، كقوله تعالى: ﴿يا أيُّها النَّبيُّ إذا طلقتُم النِّساءَ﴾ فافتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد سائر من يملك الطلاق.

4- الرابع: خطاب العام والمراد الخصوص، وقد اختلف العلماء في وقوع ذلك في القرآن فأنكره بعضهم؛ لأنَّ الدلالة الموجبة للخصوص بمنزلة الاستثناء المتصل بالجملة كقوله تعالى: ﴿فلبثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلا خمسينَ عاماً﴾ والصحيح أنه واقع كقوله: ﴿الذينَ قالَ لهم النّاسُ

إنَّ النّاسَ قد جمعُوا لكُم﴾ وعمومه يقتضي دخول جميع الناس في اللفظين جميعا والمراد بعضهم.(1)

وفي ميدان الخطاب وعلاقته باللسانيات نجد **هاريس** أول لساني يعد الخطاب موضوعاً شرعياً للدرس اللساني؛ لأنه قدم منهجاً لتحليل الخطاب المترابط واهتم بتوزيع العناصر اللغوية في النصوص، والروابط بين النص وسياقه الاجتماعي- ومن هنا- أصبح الخطاب بداية من سنة 1952م موضوعاً للتحليل اللساني، وبناء على ذلك تم تكسير القاعدة التي وضعها **بلومفيلد،** الذي كان يعد (الجملة) أكبر وحدة قابلة للدراسة، وأنها هي الموضوع الشرعي الوحيد للسانيات على اعتبار أن الأشكال الأخرى التي تكبرها لا يمكن تحديدها في إطار يمكّن من دراستها على أحسن وجه وتبيان خصائصها اللغوية والدلالية.(2)

وتتمحور قضيتنا وعلاقتنا بالنص القرآني في مناحي البحث اللساني عبر بوابة من العلامات والعلاقات والرموز والإشارات التي

---

1 انظر: بدر الدين، الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل، ط1، دار المعرفة، لبنان، عام: 1957م، ج2، ص 217- 220.

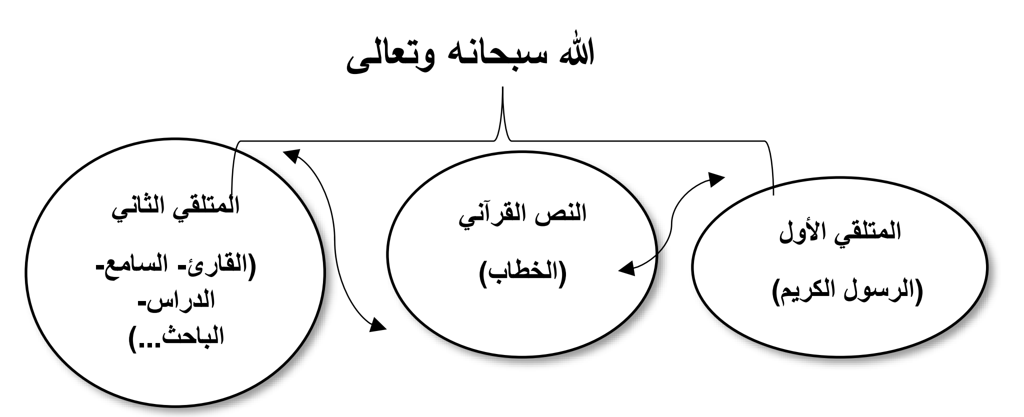
2 انظر: بن يحيى طاهر ناعوس، **تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص دراسة تطبيقية في سورة البقرة**، ص14.

تنبثق من طبيعة النص القرآني الذي يناســـب كل زمان ومكان، ولا يقتصر على الدراسة التقليدية والكلاسيكية كما يعتقد بعض اللغويين؛ فالخطاب القرآني يبحر بعوالم من الأمواج الدلالية (الخطاب) لتقلي السـياق والتراكيب وما تحتويه من تقلبات النص القرآني وتبدل مبانيه ومعانيه ودلالاته، وأنســاقه التعبيرية، فالنص القرآني في مجال الخطاب يتنقل من النص والســياق إلى المتلقي؛ ليفعل فيه فعله التأثيري، وما ذاك إلا لقوة التماســك النصــي في الســياق القرآني المقدس.

إن قضـــية تلقي النص القرآني (الخطاب) تمر بمراحل ومراتب عديدة، فالمتلقي الأول للنص القرآني هو نبينا الكريم عليه الصـــلاة والســلام بطريق الوحي (جبريل) فالوحي هو حامل القرآن من الله عز وجل إلى النبي محمد الكريم ﷺ، ويكون المتلقي الثاني هو مجموع الســامع أو القارئ لنصـــه والدراس منذ فجر النبوة الكريم إلى أيامنا الآن. وتختلف مراحل تلقي النص القرآني في المتلقي الثاني باختلاف قدرته على فهم الخطاب ودلالات الســياق واســتخلاص معانيه من خلال مبانيه ودلالاته وعلاماته وإشهاراته وما إلى ذلك.

إن عملية تلقي النص القرآني (الخطاب) تدور في حلقة من السلاسل الاتصالية من خلال منافذ وبوابات القراءة التأملية والإجرائية

لسياق القرآني بأدوات اللسانيات المعاصرة، فالجنوح بالنص والخطاب الإلهي يمكّن اللســــانيات من تطوير وتنويع مجالاتها للدرس اللغوي العربي، ولاســـيما النص الإلهي المقدس (القرآن)، ولننظر الشـــكل الموضح:



وسيتناول هذا القسم مسألة الخطاب القرآني في البعد اللساني من خلال عدد من المباحث الدرســـية والتي تغطي الخطاب النصـــي المقدس بعدد من الوســـائل، ألاو هي: الأســـلوب (الخطاب القرآني) والدلالة، والبعد الصــوتي (لغة الخطاب الصــوتية) والدلالة، وتجاذب (الخطـاب) وتحليـل دلالات المعنى، والخطـاب القرآني نحو عـالميـة النص والدلالة.

أولاً: الأسلوب القرآني ودلالات الخطاب

يعد الأسلوب القرآني كنزاً من كنوز الدراسات اللسانية على تعدد مشاربها ومذاهبها وتياراتها؛ إذ يقدم مادة ضخمة وثرة وغنية للنتاجات والخلاصات اللسانية ولاسيما في مجال دلالات الخطاب القرآني ومدارج ومسالك تأويلها، فالأسلوب هو الوجه الي تتمظهر عبره التيارات اللسانية التي تغني الخطاب (النص القرآني) وتدلل من خلاله على قداسته وحسن استغلاله في المناحي اللسانية الحديثة.

والخطاب القرآني المبارك هو ما يندرج تحت مسمى (لسانيات الخطاب) أو تحليل الخطاب ودلالاته، وهو أشمل وأوسع من لسانيات الجملة وذلك من حيث الحجم ومن حيث الدلالة؛ إذ يندرج تحته الكلام والمتلقي (المخاطب) وبيئة الخطاب، والأسلوب والسياق والدلالة وبه نريد مجموع (النص القرآني). ونحن نعلم أن الخطاب القرآني يمتاز عن الخطاب البشري كونه خطاب متعال رباني لا يقاس بالخطاب البشري له سمات الإعجاز والكمال والقداسة، كما أن له من سحر التأثير والإقناع في أسلوبه، فيغير في شأنه التغيير الذي يطمح إليه، ويسوق في سياقه ودلالاته ما يعجز عنه أسلوب الخطاب البشري على كل حال من الأحوال.

الحقيقة أن الحديث عن الأسلوب ودلالات الخطاب في النص القرآني يقودنا إلى الحديث عن النصية أو ما يدعى بالتماسك النصي، وهو ما يخضع لمنهجي الاتساق والانسجام، فالنص القرآني الكريم يقوم على دعامة متينة من التماسك النصي عبر **الاتساق** والذي يقوم على الترابط النحوي المتقن بين الجمل أو العبارات أو التراكيب بوساطة الحروف كالعطف والفصل والوصل وغير ذلك، **والانسجام** كذلك يقوم على بنية نصية متكاملة تنطلق من الترابط الموضوعي؛ إذ يسير النص القرآني بأسلوبه ودلالات خطابه بسيرورة من الغايات والأهداف والمنشودة للفعل في المخاطب، وبهذا يكون فهم النص القرآني قائماً على منطق اللغة ولسانيات الخطاب وجمالياته.

إن أسلوبية النص القرآني تتضح في خطابه وسياقات تأويله من خلال ترتيبه للسور وحسن تنظيمه، وليس من جهة فصاحة ألفاظه ومعانيه فقط، يقول الفخر الرازي في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾[1] "من تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه

[1] البقرة: 285.

وشرف معانيه، فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك". [1]

إن دراسة الخطاب القرآني عبر أسلوبه يجب أن تكون مبنية على تجدد معاني القرآن الكريم، فثقافة تجدد المعاني القرآنية لا تتأتى لدارسي أساليبه إلا من بوابة لسانيات الخطاب أو دلالات تحليله؛ **فالزرقاني** في مناهل العرفان يذكر مدللاً على عظمة الأسلوب القرآني وتجدد معانيه ومناسبة للعصور كافة إلى قيام الساعة، الخطاب النصي التماسك والمناسب والمتناسب مع جميع العصور والأزمة، يقول:" وأنت خبير بأن القرآن هو كتاب الساعة الذي يخاطب الأجيال كافة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فلا غرو أن يضمنه منزلة كل ما تحتاج إليه الأمم على اختلاف أجيالها من المناسبات الملائمة لأحوالهم وليس ذلك في قدرة أحد إلا العليم بأسرار الخلق وخفيات السموات والأرض".[2]

إن انطلاقة الأسلوبية (الخطاب القرآني) أو النصية، يعود بالفضل في نشأته إلى النحو التوليدي، ذلك أن النحو الذي أسهم بشكل

---

[1] إبراهيم، البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عام: 1971م، ص9.

[2] محمد عبد العظيم، الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط3، مطبعة البابي الحلبي، ج2، ص 308.

مباشـر في الانتقال بالدراسـة اللسـانية من بينة الجملة ومكوناتها إلى البحث في بينة أكبر يمثلها (لسانيات وتحليل الخطاب) وهو مما ركز ونادى به **هاريس** في دراسـته وكتابه **(تحليل الخطاب)**، والذي يذهب فيه إلى أن اللغة لا تأتي على شـكل كلمات أو جمل مفردة، بل في نص متماسـك بدءاً من القول ذي الكلمة الواحدة إلى العمل ذي المجلدات، وبدءاً من المونولوج إلى القصة المطولة. [1]

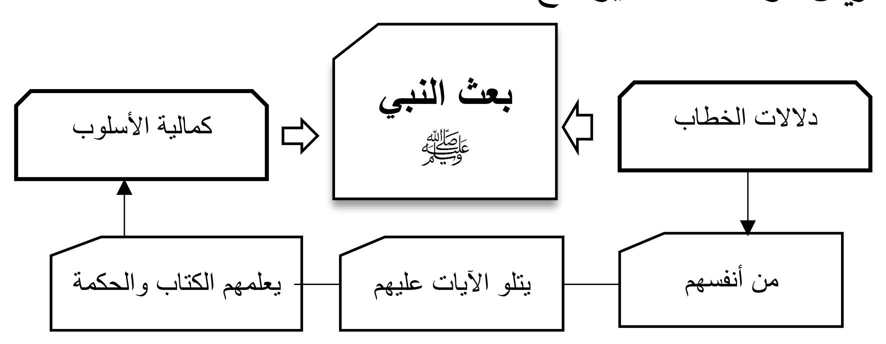
وسنعرض في هذا القسم بعض الأساليب القرآنية من خلال تحليل الخطاب عند هاريس وفلسـفته للنص ودلالات الخطاب، ففي قوله تعالى مثلاً: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُـولًا مِّنْ أَنفُسِـهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [2] يظهر لنا التماسك النصي عبر سلسلة من الكلمات النصـية في سـياق الآية (من أنفسـهم- يتلو عليهم- يعلمهم الكتاب والحكمة) وعلاقته ببعث الله للنبي الكريم محمد ﷺ، فدلالات هذه الكلمات لوحدها لا تعطي تلك الجمالية الأسـلوبية في

---

[1] انظر: نعمان، بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب**، ط1، دار جدارا للكتاب العالمي، الأردن، عام: 2009م، ص9- 34.

[2] آل عمران: 164.

الخطاب (النص القرآني) بل من خلال تماسكه النصي حسب هاريس، وهذا الشكل يوضح:

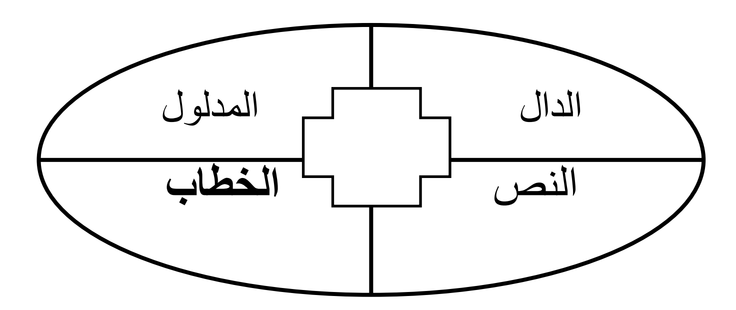


فالخطاب القرآني في هذه الآية شمل العقل والعاطفة من خلال فعله التأثيري وتصور الأفكار الناتجة عن ذلك التأثير في المتلقي؛ حتى كأن تراكيب وتماسك النص فيها قد شكل صوراً من العاطفة الداعية والباعثة إلى الإيمان المطلق برسالة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام؛ فالعقل والعاطفة في الإنسان كقوتين، تؤثران على السلوك والأفعال، هذه تفكر وتدقق وتميز، وتلك تميل وتحب وتكره، وهما كذلك تتنازعان وتتجاذبان في النفس.. والقرآن الكريم جمع قوة التأثر بأسلوبه الخطابي بين العقل والعاطفة، فوقع المتلقي في الإعجاز وبات في مرحلة من مراحل التسليم المطلق لقوة النص وتماسكه الإلهي العجيب.[1]

---

[1] انظر: محمد فوزي، البخيت، **خصائص الأسلوب القرآني**، ط1، جامعة الملك سعود، عام: 1436هـ، ص 478- 479.

إن الخطاب الإلهي العظيم من ناحية الأصل في المحيط اللساني وعلوم اللغة واستخدامها لترسيخه وبيان دلالاته ودقائقه يقوم على عدد من المرجعيات الأسلوبية وهو في أسلوبه ودلالاته"خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية **الدال**، ويكون النص على مثال مرسله. وهناك مرجعية **المدلول**، ويكون النص فيها على مثال متلقيه. وهناك أخيراً، مرجعية **النص** نفسه على نفسه ويكون النص فيها دالاً ومدلولاً خالقاً لزمنه الخاص ودائراً مع زمن المتلقين في كل العصور، وسمة القراءة في كل ذلك، أن كل واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته".[1]

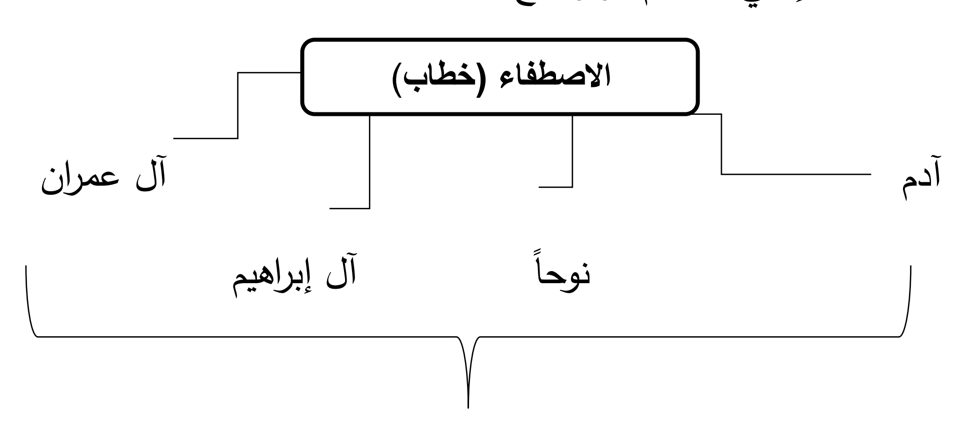


ومن الأمثلة الأخرى التي نطبّق فيها الأسلوب الخطابي القرآن حسب النظرية التوزيعية عند هاريس، والتي ينادي فيها إلى عدم دراسة النص أو السياق من خلال مبدأ النحو **التقليدي** بدراسة كل

---

[1] منذر، عياشي، **مقالات في الأسلوبية**، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عام: 1990م، ص220.

تركيب أو وحدة على حدى، بل من خلال النحو النصـــي الذي يقرر دراســـة الخطاب ونريد (النص القرآني) هنا من خلال الروابط التي تجمع هذه (المورفيمات) أو الوحدات وتشـــكل خطاباً، أي: دراســـة الوحدة في النص كمجموعة من العلاقات داخل الخطاب، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡــــطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗـا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] فلا يمكن أن ندرس الاصطفاء منعزلاً بواحدٍ من الأنبياء كما في الآية المباركة دون بقية الأنبياء، بل يجب التركيز على النحو النصـــي عندنا فيها على الروابط والعلاقات الجامعة للمعاني في هذا الخطاب الإلهي العظيم، ونوضح من خلال الشكل:



مجموع المقاطع (الوحدات)+ دلالات الخطاب من خلال الأسلوب

حسب هاريس: النحو النصي هو مادة اللسانين في دراسة الخطاب.

---

[1] آل عمران: 33.

هكذا نجد أن اللسـانيات المعاصـرة في درسـها تتوسـل بالأسـلوب الخطابي لبيان الدلالة المتتالية والتوزيعية والناتجة عن النحو النصـي أو نظرية الخطاب اللسانية عند هاريس؛ إذ تصدر الدلالات اللسانية عبر(النص القرآني) بـالأسـلوب الجمعي وليس الفردي كـالنحو التقليدي، فلقد بات الخطاب هو المادة الأعم والأشمل للدراسة اللسانية الحديثة، كما أصـبح اللسـانيون يفتشـون عن الخطاب عبر مجموع العلاقات المكونة له بشـكلها الجمعي، وابتعدوا عن النمط الكلاسـيكي القديم في درسـهم اللغوي، وبهذا كـان تطبيق النظريـة اللسـانيـة (الخطاب) عند هاريس هو من الجدة والابتكار، ومما يغطي جانياً جديداً من جماليات وإعجاز النص القرآني المبارك اللامتناهية.

ثانياً: البعد الصوتي القرآني والخطاب

الصوت دالة من الدالات الأساسية في حقل الدراسات اللسانية؛ إذ شـــغل فكر الباحثين في ميدان النص القرآني منذ أوائل اللغويين الفراهيدي ومن جاء بعده إلى يومنا، والقرآن من أعظم المجالات التي أتاحت الفرصة للباحثين في حقل الصوت من القيام بدراسات متعددة ومتنوعة في السياق القرآني ودلالاته الصوتية من الناحية اللسانية.

لم تخرج الدراســات الصــوتية اللســانية الحديثة عما جاء به كبار علماء العربية اللغويين في ميدان الصـــوت، كالفراهيدي وابن جني وغيرهم، وذلك بفضــل اعتمادهم على تشــريح علم الأصــوات بأجهزة وصـــفت بالدقة والبراعة، وقد بينت الدراســـات الحديثة أن ما جاء به العرب في حقل الأصــوات وعلم الدلالة كان اللبنة الأولى للدراســـات اللســـانية الحديثة، وقد ورد ذلك التأكيد في عدد المؤلفات الحديثة في ميدان علم الأصــوات كإبراهيم أنيس في كتابه (الأصــوات العربية)، ومحمود الســـعران في كتابه (علم اللغة)، وكذلك ما ورد وكتبه كلا من: عبد الصـــبور شـــاهين، وأحمد مختار عمر، ومحمود فهمي الحجازي، وعبد التواب وغيرهم... وفي هذه الكتب نجد مادة غنية تحدثوا فيها عن فضـل الدراســات العربية للأصـوات ودلالاتها، وقيمة

هذه الدراســـــات في مجال النصـــــوص وقراءتها لســـــانياً من الدلالة الصوتية، ولاسيما النص القرآني المقدس. (1)

إن تأثيرية الصـــــوت فينا تنطلق من أعماق النفس البشـــــرية التي خُلقت بين الكلام المنطوق والمسموع؛ أي: بين الاستقبال والإرسال، وكانت هذه العلاقة بين الكلام والســـــماع هي البوصـــــلة التي جعلت النفس البشـــــرية تخضـــــع للتأثر والتأثير من خلالها، فالصـــــوت الذي يخرج من الإنســـــان يرتبط بعدد من الأحاســـــيس والمشـــــاعر كما أنه يخضـــــع لدلالة الأداء بين صـــــفات الأصـــــوات كما نعلم بين (جهر- همس- إطباق- اســـــتعلاء...) وغيرها من الصـــــفات التي تعطي الصوت في مرحلة الإلقاء ذلك السحر التأثيري على السامع فتصل إليه حالة المتكلم ودلالة صـــــوته بين الفرح أو الحزن وغير ذلك من الحالات الشعورية قبل تمام نطق الكلمة بأسلوبه وطريقة نطقه، وكما قيل: "الأســـــلوب هو الرجل" (2) فالأســـــلوب الصـــــوتي هو من أعمق الأساليب في التلقي اللغوي اللساني ولاسيما القرآن الكريم.

---

[1] انظر: علي، مزيان، **علم الأصوات بين القدماء والمحدثين**، ط1، دار شموع للنشر، عام: 2003م، ص13- 14.

[2] بكري، شيخ أمين، **التعبير الفني في القرآن الكريم**، ط4، دار الشروق، بيروت، عام: 1980م، ص180.

لعل قيمة الصوت في اللسانيات القرآنية تظهر في ضعف الإنسان وكل الكائنات أمام القدرة الإلهية التي اســـتودعتها تلك القدرة على إصـــدار الصـــوت وتحميله مضـــامين الإرادة ومكنونات النفس وما يعتريها، فالأصـــوات تخشـــع عند إرادة خالقها، فتحولت وانتقلت من القوة (الجهر) إلى أشد الضعف والانقياد والخضوع (الهمس)، ويفسر ذلك قوله عز وجل: ﴿وَخَشَـعَتِ الْأَصْـوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْـمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾[1] فلا يسمع لهم نطق أو صوت أو لفظ، بل تحريك للشفتين فقط. ويفسر ذلك قول عثمان رضي الله عنه: "ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه". [2] وقول ابن جني المشهور في خصائصه: "اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم". [3]

إن للأداء الصوتي في القرآن الكريم المنحى الذي يختلف عن بقية الأصوات اللسانية الأخرى الصادرة عن الإنسان عند أدائها، فللقرآن الكريم خاصـــية لا نجدها في المســـتوى الصـــوتي في المســـاقات والسـياقات التي تصـدر عنا عند إدائنا للأصـوات، وهي: (الترتيل)،

---

[1] سورة طه: 108.

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر، 2009م، ج4، ص263.

[3] ابن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، عام: 1952م، ج1: 33.

فهو يخضـــع لمبادئ معرفة وقواعد الوقوف والتجويد للحروف وما يندرج تحتها من الأقســـام والفروع لأحكامه وصـــفات الحروف ومخارجها. قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[1] إذ لابد فيه من نصاعة الصوت بإخراج الصوت واضحاً، وإعطاء الحرف حقه من النطق المحقق له غير مشـــتبه بغيره، وهو جوهر الأداء؛ وهو ما أطلقوا عليه وسموه بعلم التجويد. [2]

إن ارتباط جمال الأسلوب في خطاب القرآن الكريم يبدأ من خلال تراكيبه التي إذا وقفنا عليها بالدرس اللســـاني وجدناها قد ارتســـمت وانسكبت بقالب وتركيب إعجازي لا مثيل له، فلغة القرآن من أفصح اللغات وأكثرها نصـــاعة وتأثيراً باختيارها للحروف والأصـــوات المنســـجمة مع عمق التعبير في المتلقي، فالعبارات تتلون بأفصـــح ألوان البلاغة الكاملة المتكاملة المعجزة، كما أن لغة الصـــوت تطغى على كل مشـــهد من مشـــاهد النص القرآني الجليل، فلو نظرت في خطاب الله للكافرين واختياره لصـــوت (تؤز) والذي يدل على الحركة والتحريك والهز، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَـــلْنَا الشَّـــيَاطِينَ عَلَى

[1] سورة المزمل: 4.

[2] انظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ت، ج1: 198.

الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [1] أي: تحركهم تحريكاً شـــديداً. لعرفت لم كان للقرآن من الإعجاز ما تقف عند حدود العقول والألســـنة فاختيار الألفاظ في أصله اختيار للأصوات التي تتآلف منها كما نعلم، بهذه المعاني يصــف مصــطفى الرافعي الصــوت القرآني وإعجازه يقول: "إعجازه الذي يخاطب له كل نفس تفهمه، وكل نفس لا تفهمه، ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة؛ ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضرباً من الكلام البليغ الذي يطمع فيه أو في أكثره، ولما وجد فيه أثر يتعدى أهل اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى، ولكنه انفرد بهذا الوجه للعجز، فتألقت كلماته من حروف لو ســقط واحد منها أو أبدل بغيره، أو أقحم منه حرف آخر، لكان ذلك خللاً بيناً، أو ضـعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حس السمع وذوق اللســان، وفي انســجام العبارة وبراعة المخرج وتســاند الحروف في إفضــاء بعضــها إلى بعض، ولرأيت لذلك هُجنة في الســمع، كالذي تنكره من كـل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبهـا، ولم تتفق على

[1] سورة مريم: 83.

طبقاتها، وخرج بعضــها طولاً وبعضــها عرضــاً، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة". [1]

تأتي قيمة الأصـوات في الدراسـات اللسـانية على الخطاب القرآني من خلال كونها السبيل الأول والأساسي لدارسي اللغة على اختلاف مناهجهم وتوجهاتهم في دراساتهم اللسـانية القائمة سـواء على المنهج الوصـــفي، أو المنهج التـاريخي، أو المنهج المقـارن، أو المنهج المعياري، أو غيرها من المناهج التطبيقية الأخرى في ميدان لسانيات النص والخطاب اللغوي، فالأصـوات تشـكل القاعدة الأولى لكل فروع من فروع الدراسـات اللسـانية مهما تعددت؛ لأن اللغة أو السـياق أو التراكيب أو الأسـاليب في أسـاسـها مجموعة من الأصـوات ودراسـتها ترتبط ارتباطاً شـــديداً بمواقع الأصـــوات ودلالات تموضـــعها داخل السياق الخطابي ودورها في تحليل النص واستنباط معانيه.

والواجب في هذا القسـم أن نسـلط الضـوء على العلاقة بين النص القرآني واللســانيات ودلالات الخطاب الناتجة عن الصـــوت أو الأصـوات المؤسـسـة للتركيب والسـياق، وسـنعرض فيه العلاقة بين الصـــوت والمعنى عند العالم اللســاني الروســي المشــهور (رومان

---

[1] مصطفى، الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط9، دار الكتاب العربي، لبنان، عام: 1973م، ص 217.

جاكبسون) الذي وضع محاضرات عديدة في ميدان الصوت ودلالات المعنى، وهو يركز ويطلب أن تكون البداية في الدرس اللســاني قائمة على بنية العلاقة بين الصــوت والمعنى في الدرس والتحليل للخطاب أو النص، ويستند التواصل اللساني للصوت والمعنى حسبه إلى ستة عناصر أساسية، هي:

1- **المرسل:** وهنا نريد به الخطاب.

2- **المرسل إليه:** المتلقي.

3- **الرسالة:** النص القرآني.

4- **القناة:** الممر الفيزيولوجي الناقل للرسالة.

5- **المرجع:** السياق (المحيط والبيئة).

6- **الشيفرة:** نظام الترميز ويجب فكه بحثاً عن القيمة من الرسالة.

فرومان جاكبســون من خلال نظرياته اللســانية يؤكد على العلاقة بين الصوت والمعنى من خلال هذه القنوات أو العناصر الستة، وهو الذي أطلق مصــطلح **أدبية الأدب** في دراســاته للشــعر، ويهدف من خلالها إلى أن في الأدب خاصية تجعله يختلف عن غيره من أساليب الحوار أو الخطاب الأخرى، فإنه أعطى للأدب تلك المنزلة، فكيف

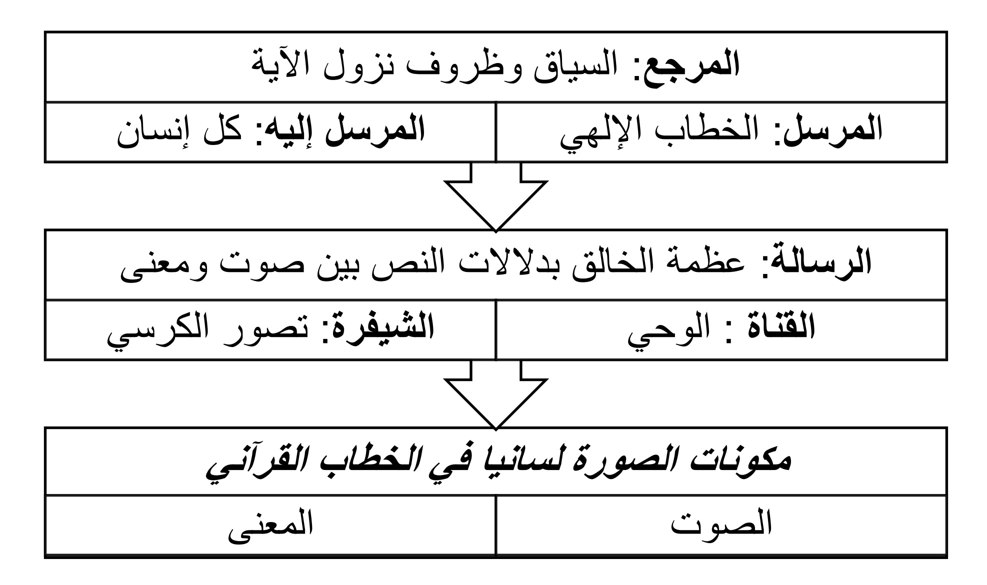
بالنص القرآني المقدس ومنزلته الإعجازية والعالية والكمالية كما نعرف.

ولنبين ما نذهب إليه من خلال عددٍ من النصــوص القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿وَاصْــنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾[1] فالمرسل: (الخطاب الإلهي)، والمرسل إليه: (نبي الله نوح عليه السلام)، والرســالة: (نص الخطاب بأصــواته ودلالاته)، والقناة: (الوحي)، والتشــفير: (صــوت ومعنى: بأعيينا)، والمرجع: (العناية والقدرة والرعاية الإلهية لمراحل الصنع من قبل نبي الله نوح). وهذا رسم توضيحي:

الشيفرة	القناة	الرسالة	المرسل إليه	المرسل
عناية رعاية قدرة متابعة	إرسال الوحي	الصوت والدلالة	نبي الله (نوح)	الخطاب الإلهي

[1] سورة هود: الآية 37.

ومن الآيات العميقة الدلالات لسـانياً في مجال الخطاب القرآني قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [1] ونبينها هكذا:



المرجع: السياق وظروف نزول الآية	
المرسل: الخطاب الإلهي	**المرسل إليه**: كل إنسان

الرسالة: عظمة الخالق بدلالات النص بين صوت ومعنى	
القناة : الوحي	**الشيفرة**: تصور الكرسي

مكونات الصورة لسانيا في الخطاب القرآني	
الصوت	المعنى

ونختار منها قول الله عز وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [2] فالرسـالة هنا: الخطاب القرآني العظيم، والمرسـل إليه: يتعدد بتعدد مستويات التلقي للخطاب الإلهي، والرسالة: نص وسياق الخطاب القرآني (البقاء لله وحده)، والمرجع: (الظروف والبيئة) التي سـاعدت في تكوين ودلالات هذا الخطاب لبيان ضـعف الإنسـان واسـتلاب التعلق والبقاء لغير الله جل جلاله، والقناة: (الوحي)، والشـيفرة: (وجه ربك) في دلالات البقاء لله وحده ووجه الكريم المنور

---

[1] سورة البقرة: 255.

[2] سورة الرحمن: 27.

العظيم. قال الشعبي في عظمة هذه الآية وعمق تكوينها الصوتي في إثبات المعنى واستنباط التحليل الإعجازي والدلالي لمضمونها: إذا قرأت ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ فلا تسكت حتى تقرأ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.[1]

وخلاصة القول في هذا القسم أن الصوت هو سر الدلالة في تحليل الخطاب القرآني العظيم، وذلك أنه يشكل المادة والأساس الأول لأي دراسة دلالية لسانية في سياق الخطاب الإلهي مهما تنوعت مادة ومنهج دارسه بين الوصفي أو التاريخي أو المعياري أو غير ذلك من مستويات الدراسة المنهجية لمعاني الصوت ودلالاته في النص القرآني وسياقات الحال والمقال عبره. وفي تقسيم رومان جاكبسون للدلالة اللسانية إلى ستة عناصر نرى ازدياد العمق والبعد عن المعنى السطحي والخارجي وضرورة البحث عن المعنى الداخلي الذي تفرضه طبيعة المستوى الصوتي الذي تقوم عليه الكلمة ومبانيها وصولاً إلى المعاني بكمال النص القرآني وانفتاح مستويات قراءاته النافعة المتنوعة والمتجددة إلى ما شاء الله.

[1] انظر: تفسير ابن كثير.

ثالثاً: تجاذب الخطاب القرآني والتحليل

نحن بصدد الحديث عن أرفع وأسمى أنواع الخطابات البلاغية في الأسلوب والمجاز والبلاغة والإعجاز، ألا وهو القرآن الكريم، فهو الذي حضي بالدراسة والمؤلفات والبحث والتمحيص وكتب فيه ما لم يكتب في غيره من حسن الأسلوب وعمق الدلالة في الخطاب وكمال العبارة ورونق الفصاحة وما إلى ذلك من جماليات وكمال الخطاب في الكتاب العزيز.

إن مسار اللسانيات هو مسار فهم ووعي النص القرآني والعمل بما جاء به وفق منظور الدراسات الخطابية الحديثة للمعنى والدلالة، ولا يقف علم اللسانيات أمام الخطاب القرآني المبارك إلا بما يخدم لغة الخطاب ويأتي بالجديد والحديث الذي يزيد من جمالياتها ويبتعد بها عن مسار اللهو أو الزلل أو النقص أو النقد، فلغة الخطاب القرآني يجب أن تنبني على التنزيه والتمجيد والتقدير وحسن التعليل، ولاشك أن الغوص في معاني الخطاب القرآني وفق الاتجاهات أو الهوى النفسي هو من الخطأ والزلل غير المغتفر، بل إن حتمية القداسة اللغوية للخطاب القرآني تفرض على اللسانيات بأسلوبها المعاصر أن تخدم هذه القداسة وترفع من شأنها بكل وجوه الاحتمالات والمباني، فالمعاني هي خدم للمباني، والخدمة للمعنى يجب أن تنبني على

الصـــــحيح والقويم وتبتعد عن النفس والنقد والفلســـفة التي لا يحمد عقباها في كثير من الاجتهادات والكلام والتأويل.

في ميدان دراســـة النص القرآني ودلالات خطابه في اللســـانيات لابد من ذكرنا للإشكاليات التي نجدها عند بعض الباحثين في ميدان تلك الثنائية العميقة باعتبارها الأداة المثلى في تناول النصــــوص ودراســـتها من الناحية التحليلية؛ إذ يذهبون إلى أن لســـانيات النص حســـب اللغويين والتيارات الغربية تقوم في أصـــلها على (المرســـل- المرســـل إليه- الرســـالة) وتكون الرســـالة أدبية في الغالب بين الأنا والأنا الأخرى؛ أي: بين إنســـــان مبدع وإنســـــان متلقٍ. بينما نجدها مختلفة في النص القرآني الكريم؛ فالمرســـل هو الله ســـبحانه وتعالى، وهنـاك متلق أول هو النبي محمـد ﷺ وهنـاك المتلقي الثـاني هو مجموع النـاس، فهل مهمـة النبي محمـد ﷺ هي النقل عن الوحي فقط؟ فالجواب حســــب الخطاب القرآني: لا. وذلك أن النبي ﷺ هو طرف في التبليغ في كثير من الآيات القرآنيـة، كقولـه تعـالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـــولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُـولَ فَقَدْ

[1] سورة النور: 54.

أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [1] وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [2] وغيرها من الآيات الأخرى الدالة على أهمية المتلقي الأول ودوره في تشفيرية الرسالة في الخطاب القرآني، فلا يمكن أن تتم الرسالة وفق هذه الآيات إلا من خلال ورودها ومرورها بالمتلقي الأول لتحقق التواصل النصي في عملية الخطاب كما نعلم، كما أن حذف أو عدم ذكر المتلقي الأول في السياق التخاطبي في مواضع هذه الآيات يجعل التواصل الخطابي في نقص وعوز إلى المتلقي الأول الذي لولاه لم تقم الخطابية النصية في هذه الآيات بدورها الرئيس بين المرسل والمتلقي في واجب الرسالة وشيفرتها.

إن تجاذب الخطاب القرآني وتحليله على الصعيد اللساني يقوم في الأساس على خصوصية النص القرآني واستقلاليته التي لامثيل لها في مجانبته أو مقارنته بالنصوص الأدبية الأخرى، فالتجاذب بين خطاب السياق القرآني وكيفية وآليات التحليل ينطلق من أن المحاولات اللسانية تبدأ بدراسة النص من النواحي والأطراف جميعاً؛ أي: تبدأ دراسة النص من الدلالات الإجمالية؛ أي: ليس فقط دلالات

---

[1] سورة النساء: 80.

[2] سورة آل عمران: 31.

جملة من الجمل، أو تركيب من التراكيب، أو قالب من القوالب، بل الإجمال الدلالي الناتج عن مجموع الدلالات والمعاني الناتجة عن مجموع هذه الجمل، وكذلك الروابط والعلاقات فيما بينها، وكذلك البيئة والمحيط الذي انتجه السياق القرآني، فالتحليل الخطابي للنص القرآني وفق تلك السلسلة يبدأ من المفردة إلى الجمل إلى دلالات الجمل إلى المحيط والظروف والبيئة بواقع الإجمال اللساني والإحاطة به على جميع المستويات والمراحل المتتابعة.

لعل مراحل التجاذب الخطابي في القرآن والتحليل تكون من خلال وجود العلائق والعوامل والوشائج والروابط المتينة بين مكونات السياق القرآني والتي لا تظهر على تلك السوية في النتاج الأدبي البشري الآخر كالشعر أو النثر أو الرواية أو المسرح... وغير ذلك من صنوف الأدب وأنواعه؛ فالنص القرآني يقع تحت القوة التماسكية (التماسك النصي) التي بنيت وقامت وجاءت عليها كل آياته، فدراسة الخطاب القرآني من الناحية اللسانية لا يمكن تصورها إلا بمبدأ المتابعة والتعقيب للسابق واللاحق، ووقائع التنزيل وأسبابه، والغرض والمخاطب وتخصيص المراد وسياق الحال ونوع الخطاب وضمائر الخطاب والمكي والمدني، وربما اللجوء إلى المقارنة بين الذكر أو الحذف أو التقديم والتأخير بين الآية المدروسة وآية مشابهة له في

ســـورة من الســـور الأخرى وما إلى ذلك، يقول الســـيوطي في هذه المعاني: "إن القاعدة التي استقر بها في القرآن: أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشـــرح له، وإطناب لإيجازه، وقد اســـتمر معي ذلك في غالب سور القرآن، طويلها وقصيرها". (1)

يخضع الخطاب القرآني الجليل في تماسكه النصي لقواعد الإحالة النصـــية في ألفاظه ودلالاته ومعانيه، وهي على أنواع بعضـــها يكون خارج النص ويطلقون عليها الإحالـة **المقاميـة**؛ أي: التي تقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص، ونضـرب لها مثالاً قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِـرُونَ (38) وَمَا لَا تُبْصِـرُونَ (39) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُـــولٍ كَرِيمٍ (40) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَـــاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (41) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (42) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إنَّه (القرآن الكريم)، لقول رســـول كريم (جبريل). فالإحالة الخارجية كما في هذه الآية تشـكل عنصـراً مهما في تماسـك الخطاب القرآني. وبعض هذه الإحالـة يكون داخل النص، ويطلقون عليه الإحالـة **النصـــيـة**؛ أي: إحالة العناصـر اللفظية الواردة في السـياق الخطابي للقرآن في النص الملفوظ، كالإحالة على الســـابق أو اللاحق في كثير من ســـياقات

---

[1] جلال الدين، السيوطي، **تناسب الدرر في تناسب السور**، تح: عبد القدر أحمد عطا، ط1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، عام: 2002م، ص 56.

الخطاب القرآنية، ونضـرب لها مثالاً قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1] فالارتباط اللغوي في تماسـك النص في خطاب هذه الآية يعود إلى مراحل ترتيبية (ثم) التي تفسر المعاني والدلالات اللاحقة داخل النص بنظام الإحالة الداخلية (داخل النص) كما بينا معانيها. [2]

كذلك تفرض علينا قراءتنا اللسانية للخطاب القرآني وقواعد تحليل لسانيات الخطاب أن ننأى بالدراسة اللسانية لمعاني الخطاب القرآني بعيداً عن (نحو الجملة) بمفهومه التقليدي الكلاسيكي الموروث في التراث العربي، والذي يقوم على الإحاطة بالنص في حدود الجملة الضيق، من وإلى الجملة فقط، إلى الانطلاق بالدراسة الخطابية للسياق القرآني عبر (نحو النص)؛ الذي يشكل طفرة جديدة ووسيلة وهدفاً حديثاً في استراتيجيات دراسة النصوص الدينية (خطاب القرآن) والوقوف على نتاجها الدلالي؛ إذ تحدد مفاهيم ومعايير نحو النص الدلالات الحديثة التي تعيننا في فهم الخطاب القرآني عبرها ومن خلال أدواتها ومناهجها التأويلية في تفسير القرآن واستنباط معانيه.

---

[1] سورة البقرة: 28.

[2] انظر: حمادة، حامد، **التماسك النصي بالإحالة دراسة تطبيقية في سورة الواقعة**، حوليات كلية اللغة العربية بجرجا، العدد: 19، عام: 2015م، ص 5090.

إن مراعاة السـياق في الخطاب القرآني لا يجب أن ننظر إليها من جهة أو تركيب أو جملة دون بقية السياق ومراده ودلالاته وتفاصيله؛ وهذا هو ما دعت إليه اللســـانيات الحديثة في تناولها للنحو كنص وليس كجملة، كذلك من خلال النظر بين سياق المقال وسياق الحال. وهذا ما أشـــار إليه الشـــاطبي بقوله: "المســـاقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقـات والنوازل، وهـذا معلوم في علم المعـاني والبيـان؛ فـالـذي يكون على بـال من المســـتمع والمتفهم و الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحســب القضــية وما اقتضــاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضـية وإن اشـتملت على جمل؛ فبعضـــها متعلق ببعض؛ لأنها قضـــية واحدة نازلة في شـــيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصـــل مقصـــود الشـــارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه؛ فلا يتوصل به إلى مراده، فلا يصـح الاقتصـار في النظر على بعض أجزاء الكلام دون بعض، إلا في موطن واحد، وهو النظر في فهم الظاهر بحســب اللســان العربي وما يقتضــيه، لا بحسب مقصود المتكلم". [1]

---

[1] الشاطبي، **الموافقات**، تح: بكر بن عبيد الله أبو زيد، ط1، دار ابن عفان، عام: 1997م، ج: 4، ص 266.

تستمد اللسانيات المعاصرة قوتها من خلال تطبيقها على الخطاب القرآني، وتتمظهر تلك القوة وتزداد كلما خضعت اللسانيات وأخضعت قدراتها في تبيان وظائف الخطاب ودلالاته وبنيته، فالخطاب القرآني في محيط لسانيات النص يتجاذبه تياران عزيزان رئيسان في تقويمه وتعليل دواله ودلالاته:

التيار الأول: **(الاتساق)** ويراد به الترابط الشكلي في السياق الخطاب المذكور سماعاً أو قراءةً من الآيات، فنحن عندما نذكر الاتساق أو الترابط الشكلي نريد به التكوين والبنية (سياق الألفاظ ومبانيها النحوية) التي تسرد بها خطابات النص القرآني، والتي تتمتع بالإيجاز والإعجاز والنفاذ إلى العقل والروح، فالخطاب الإلهي له من الخصائص والسمات ما يرقى به عن الخطابات الإبداعية البشرية، ويدخل تحت هذه البنية والتكوين كل السياقات والحركات والروابط والعوامل النحوية ومعمولاتها وغير ذلك من وسائل الترابط الشكلي في الخطاب (النص القرآني).

التيار الثاني: **(الانسجام)** ويراد به الترابط المعنوي، ولعلنا نوضحه من خلال مظاهر التماسك النصي لآيات القرآن الكريم من الناحية المعنوية، فلا نجد فيها من الكلام إلا ذكر أنها لاريب منزهة عن

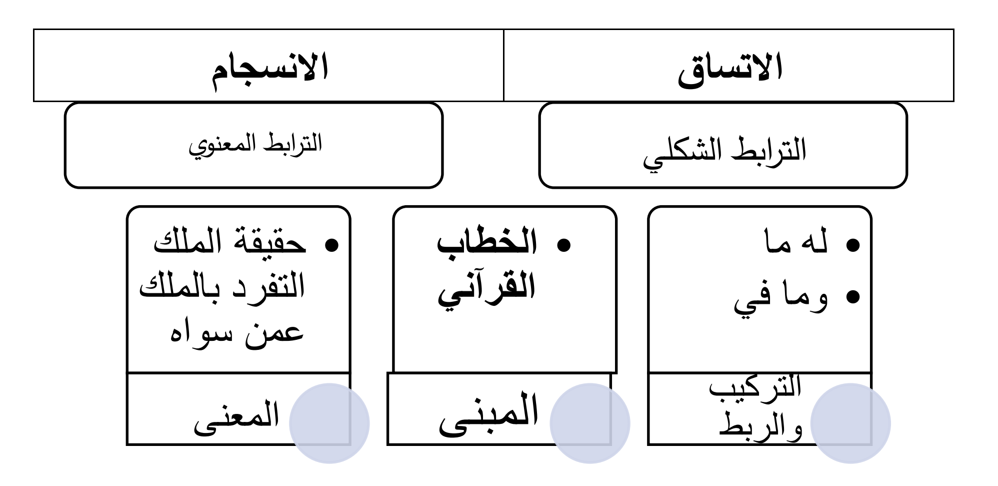
المقارنة والمســـــاواة ببقية الوســـــائل والدلالات المعنوية للخطابات الإبداعية الأخرى كالشعر والرواية وغير ذلك من الأجناس الأدبية.

والمتأمل للخطاب القرآني وفق المنظور اللســـــاني يدرك حقيقة وجمالية هذا الخطاب الرباني الروحي المطلق الكمال والإعجاز، ولا يساوره شك في ضعف القراءة اللسانية للنص القرآني عن الإحاطة بجميع مكنوناته ودلالاته مهما تنوعت وتطورت وســـائلها وأســـاليبها، ومهما ارتقت دراســـــتها للنص الخطابي، فالخطاب في اللســـــانيات الحديثة كما نعرف يراد بها النص المكتوب أو المســــموع، وهم لا يتحدثون ولا يفرقون عن مسألة طوله وقصره، بينما نجد كل كلمة في سياقها القرآني خطاب عام شامل حوى من الدلالات العميقة ما حوى، فمهما سطرت الأقلام في حقه، بقيت في مرحلة القراءة الأولى حسب رأينا، ففيه الكلمات المعجزة ذات الدلالة العميقة الوصــــف الجليلة المباني المتماسكة نصياً التي تشكل نصوصاً في الدلالة وليست ســـياقاً بســـيطاً يمكن الاطلاع على جميع معانيه من مبانيه؛ إذ فيه وصــــف الألوهية والقدرة والجبروت والملك لمالك الملك، قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾[1] أي كما بينوا في معانيها: الجميع ملكه وفي قبضته، وتحت تصريفه ومشيئته وإرادته

---

[1] سورة طه: 6.

وحكمه، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه، لا إله سواه، ولا رب غيره، فهذه الآية الجليلة المبنى العظيمة المعنى تخضع لقانوني والانسجام والاتساق في فهمنا للسانيات الخطاب القرآني وسياقاته، وهذا شكل يوضح تلك العلاقة بين الخطاب القرآني وبينهما:



لقد جاءت جماليات الخطاب القرآني وتجاذب معانيها من إعجاز النظم القرآني؛ ذلك أن للإعجاز في النظم القرآني قرائن وأدلة تؤكد قوة النص وقدرته على تجديد الدراسات اللسانية وتطوير أدواتها وإحاطتها بالسياق التخاطبي في القرآن الكريم من مجمل جوانبه ومجالاته المعرفية والاستنباطية، وإلى ذلك يشير صاحب كتاب (الإعجاز في نظم القرآن)، وهو يعيد ذلك الإعجاز في الخطاب القرآني إلى سببين:

1- أن المعاني والتصـورات في الخطاب القرآني هي أسـرع دوماً إلى ذهن المتلقي من الألفاظ والقوالب والتعبيرات الناتجة عن إبداع البشر؛ ذلـك أن هـذه الألفـاظ والتعبيرات والقوالـب المنمقـة تعجز فـي عـامـة أحوالها عن الوصـــــول إلى حقيقة وقوة النص القرآني في خطابه من الناحية اللســانية في التأثير في النفس واختلاجاتها عند متلقيه، فاللغة مهما كـان نوعها لا تغطي إلا جزءً يســـيراً من الـدلالات والمعـاني الجليلـة النـاتجـة عن تخـاطبيـة النص القرآني وتركيبهـا للمعـاني والأحاسـيس والمشـاعر. فلو نظرت في النتاج البشـري وجدت تعبير المشـــاعر من الألم أو الفرحة أو غير ذلك مما يختلج في النفس قد يعبر عنـه بكلمـة واحـدة أو كلمـات قليلـة، بينمـا تجـد النظم القرآني الجليل ينوع في الأســاليب ويأتي بالمعجر والباهر من فصــيح القول وبليغه.

2- أن الكاتب أو المبدع في ميدان الأدب أو الشعر أو النثر أو غير ذلك... مهما امتلك من الخزائن اللغوية من مفردات اللغة وتراكيبها، ومهما عرف من وجوه وتقليبات الأعاريب وإيرادها، لن يســـتطيع أن ينظم كلامه وفق نظم القرآن الكريم المعجز، فهو سياق وخطاب إلهي جليل المباني عظيم المعاني، كما أن تأثيرية النص المكتوب من قبل الإبداع أو الكتابة البشـــرية تبقى ضـــئيلة في نفس المتلقي مقارنة

بتأثيرية النص والخطاب القرآني والتي نقلت كثيراً من المشــركين إلى الإيمان والتســـليم التام لدخول الإســـلام؛ إذ يقف المبدع أو الأديب بصمت أمام جمال النظم القرآني في سياقات خطابه ونظم معانيه في محيط لسانيات الخطاب والنص وتجاذب تحليله. [1]

ونحن عندما ندرس لسانيات الخطاب القرآني لا مندوحة عندنا من الحديث عن وظائف الخطاب القرآني الإبلاغية؛ ذلك أن كل آية من آيات الســـياق القرآني تقوم بوظيفة إبلاغية ما! ولابد لنا من البحث عن مضـــامين هذه الإبلاغيات وتحري مفاهيمها والغوص في مبانيها للوصول إلى دلالاتها اللسانية ووظائفها التعبيرية عبر السرد والصور والتراكيب والمعاني.

كذلك تظهر طبيعة التواصـــل الإبلاغي عبر الخطاب القرآني من خلال الأسلوبين:

1- الإبلاغية عبر الأسـلوب المباشــر: وهي تكون من خلال عملية التواصـل بين أطراف الرسـالة والمرسـل والمرسـل إليه بطرق ووسـائل

---

[1] انظر: محمود، شيخون، **الإعجاز في نظم القرآن**، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، عام: 1978م، ص 62- 63.

نصية وخطابية مباشرة تظهر في أساليب (الأمر، النهي، الاستفهام، النداء...)

2- الإبلاغية عبر الأسلوب غير المباشر(الإيحائية): وهي تكون من خلال عملية التواصل بين أطراف الرسالة والمرسل والمرسل إليه بطرق ووسائل نصية وخطابية غير مباشرة تظهر في أساليب الإيحاء من مثل (القصة، المثل، الخبر...) وسنعمد إلى شرح جميع هذه الإبلاغيات من خلال الخطاب القرآني ونبين صلتها بلسانيات الخطاب القرآني ودورها في تأليف معانيه وصوره.

1- الأمر: من وسائل الإبلاغ المباشرة في التواصل التخاطبي في القرآن الكريم، وله صيغ عديدة لا نريد الحديث عنها والاستطراد في صيغها فهي معلومة ومشهورة لدينا جميعاً، ولها دور بارز في سرعة الإقناع والإمتاع والتأثير، ونضرب لها من الآيات ذات الدلالات العظيمة على أعظم الفرائض وأكثرها أهمية في حياتنا الدنيوية والأخروية (الصلاة) قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [1] ويظهر من خلال هذا الجدول:

---

[1] سورة الإسراء: 78.

الخطاب الإلهي المباشر

أسلوب الأمر

الصيغة	الرسالة	الدلالة الإبلاغية
فعل الأمر (أقم)	المحافظة على الصلاة	الصبر والمتابعة

2- النهي: يشكل النهي في المعنى النحوي الكف عن القيام بالفعل، أي: ترك القيام للفعل على وجه الطلب بأداة النهي المعهودة المعلومة (لا)، ونضرب لها مثالاً من النهي المطلق لجميع ما طلب تركه والابتعاد عن طاعة لله عز وجل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ﴾ [1] وتظهر من خلال الجدول:

الخطاب الإلهي المباشر

أسلوب النهي

الصيغة	الرسالة	الدلالة الإبلاغية
النهي بـ(لا) (لا تقربوا)	الابتعاد عن جميع المحرمات والفواحش	المجاهدة وطلب العون من الله

[1] سورة الأنعام: 151.

3- الاستفهام: هو طلب السؤال عن شيء ما، ويحتم الاستفهام في الأسلوب التخاطبي القرآني وجود الطرفين السؤال والجواب، وبوجود الطرفين تأتي الدلالة الإبلاغية المباشرة من خلال شيفرة الرسالة ووصول المعنى إلى المتلقي والقارئ، ونضرب لها مثالاً قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلً﴾ [1] وفيها من الدلالات العجيب، والأداة (الهمزة)، وتظهر من خلال الجدول الآتي:

الخطاب الإلهي المباشر

أسلوب الاستفهام

الصيغة	الرسالة	الدلالة الإبلاغية
الاستفهام (الهمزة)	صور الخلق والتكوين والدعوة إلى التفكير والتدبر لمعانيها الجليلة والعظيمة	ترك الشرك والكفر بعد السؤال المعجز الداعي إلى لزوم الصمت أمام خطاب القرآن العظيم

---
[1] سورة الكهف: 37.

4- النداء: وهو طلب الإجابة لأمر ما بحرف من حروف النداء، سواء أكان الأسلوب بذكر الحرف أم بعدم ذكره، والنداء يندرج أيضاً تحت الأسلوب التخاطبي المباشر في النص القرآني؛ إذ لابد فيه من الرسالة التواصيلة والإبلاغية بين المُخَاطِب والمُخَاطَب، كما لابد فيه من الوعي والفهم التام للرسالة (الخطاب). ونضرب مثالاً لها قوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[1] فهذه الآية العظيمة تمثل خسارة الكثير من الناس والبشر على مر العصور وإرسال الرسل والأنبياء، ولكن الخطاب الإلهي فيها يذهب إلى أن الحسرة في هذا الموضع لا تنفع بعد تلك الرسائل التخاطبية الإلهية بين الله جل وعلا وبين عباده، وهذا الجدول يبين دور الاستفهام في التخاطب والإبلاغية المباشرة:

الخطاب الإلهي المباشر

أسلوب النداء

الصيغة	الرسالة	الدلالة الإبلاغية
النداء	صور الحسرة والندم البشرية على امتداد	القبول شرط من شروط العمل

---

[1] سورة يس: 30.

(يا)	الأزمنة والأمكنة في قصص القرآن الكريم وآياته	والتسليم والإنكار سبب للهلاك والحسرة والندم الذي لا فائدة منه

لقد بينت الآيات الكريمة التي ذكرناها في قسم الخطاب الإبلاغي المباشر عبر (الأمر- النهي- الاستفهام- النداء) أن الرسالة التخاطبية والإبلاغية في النص القرآني المقدس تفعل فعلها التأثيري عبر بوابة المباشر والحاجة إلى المتلقي فور الرسالة للقيام بها، والتفصيل في مضامين خطابها وما جاءت به من شروط، وأما الخطاب الإلهي غير المباشر (الإيحاء) سنبينه من خلال المواقع الآية في النص القرآني:

1- الخبر: فالخبر يحتوي من وسائل التواصل في سياق الخطاب القرآني الكثير الكثير من الدلالات والمعاني، وتأتي أهمية الخطاب القرآني غير المباشر عن طريق الخبر من خلال كون اللسانيات البوابة التي ينطلق منها المجال اللغوي في الكشف عن المعاني بالأسلوب غير المباشر في الآية الكريمة، ونذكر منها قوله عز وجل: ﴿سَنُرِيهِمْ

آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾[1] وتظهر الخطابية غير المباشرة من خلال هذا الجدول:

الخطاب الإلهي غير المباشر

أسلوب الخبر

الصيغة	**الرسالة**	**الدلالة الإبلاغية**
الخبر (سنريهم آياتنا)	البحث عن الخالق في الذات وفي الخلق الكوني	الإيمان المطلق بالتواصلية الخطابية بعد معرفة الخبر ودلالات التخاطب وصور المعاني الواردة فيه

2- المثل: هو وسيلة من وسائل الخطاب القرآني غير المباشر، والمثل أداة من أدوات الألسنة الحديثة بما يحتوي عليه من جماليات المعاني ودقيق تفاصيله؛ فهو يشمل خلاصة عظيمة من الفوائد والحكم والدلالات، ونضرب من الأمثال القرآنية العالية الدلالة على قيمة العلم

---

[1] سورة فصلت: 53.

والعمل به على الوجه الصحيح، قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[1] وتظهر الدلالة الإيحائية في المثل القرآني من خلال الجدول:

الخطاب الإلهي غير المباشر

أسلوب الأمثال القرآنية

الصيغة	الرسالة	الدلالة الإبلاغية
المثل (ضرب المثل)	العلم بلا عمل كحمل الكتب ممن لا يعقل (الحمار في المثل)	لابد من العمل بالعلم فهو الأصل من الرسالة بين المعطي وطالب العلم

3- القصص: كذلك تتكون الرسائل الخطابية غير المباشرة، وتقوم بوظائفها الإبلاغية غير المباشرة عن طريق السرد القصصي في الكتاب العزيز، ونختار لها من الآيات الجليلة التي لخّصت الهدف الخطابي بين الرسالة الإلهية (القصة) وبين التلقي النبوي عن النبي محمد ﷺ والهدف من التخاطبية القصصية تثبيت النبي والتلطف به

[1] سورة الجمعة: 5.

وتقوية عزيمته وهمته في التبليغ، قال عز وجل: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [1] وهذا جدول يوضح:

الخطاب الإلهي غير المباشر

أسلوب القصص القرآنية

الصيغة	الرسالة	الدلالة الإبلاغية
القصة (نقص عليك)	الطريق لا يكون واضحاً وسهلاً دون وجود للعوائق والسلبيات والمصاعب التي تزول بالاطلاع على قصص الكثير ممن سبق وكان العون له من الله للتثبيت والمداومة	لابد من القصص التي تسلي وتزيد العزيمة لدى نبينا الكريم محمد ﷺ الذي كان رحمة للعالمين

[1] سورة هود: 120.

ومما سبق نرى أن الخطاب القرآني الجليل أقام ورسخ الكثير من الأسس اللسانية في فهم وإدراك السياق القرآني العظيم؛ إذ كانت لسانيات الخطاب مفتاحاً وصرحاً من صروح فتح مغاليق النص في التخاطبية وعلاقتها بموضوع التلقي وصراع التجاذب عند تحليل النص وفحوى الخطاب بين مرسل معجز قادر ورسالة عظيمة المبنى والمعنى ومتلق أول فصيح بليغ جامع لعوالم الكلم نبينا محمد ﷺ، والمتلقين في المرتبة الثانية المتأثرين المعترفين بسحر الإعجاز الخطابي وجماليات التماسك النصي للسياق القرآني المبارك عبر الترابط الشكلي (الاتساق) والترابط المعنوي (الانسجام)، أو عبر الإبلاغية التخاطبية المباشرة وغير المباشرة أيضاً.

رابعاً: الخطاب القرآني نحو العالمية

عندما نتحدث عن قيمة الخطاب، فإن التبادر الأول الذي يقع في الذهن لدينا هو الخطاب القرآني الجليل؛ ذلك أنه الخطاب الذي لا يقع ولا يرقى إلى منزلته أي خطاب، مهما بلغ ذلك الخطاب من الفصاحة والبلاغة ورونق العبارة وكمال الصنعة، ومهما كان نوعه، ومَن كتبه، أو من قاله، أو سمع به، أو من حلّل معانيه وأبعاد مبانيه؛ فهو الخطاب الذي لابد من تحوله وانتقاله من محيط الكلمة والعبارة إلى العالمية في الدلالة.

لقد أثبت النص القرآني (الخطاب) قدرته وسحره التأثيري على السامع والمتلقي، فكان جديراً بعالميته للخطابات وتربع على عرش الخطاب وسياق الحال والمقال، فالله سبحانه وتعالى قد أورد في كتابه العزيز آيات ومواطن تؤكد عالمية ذلك الخطاب الإلهي الجليل فكيف لا يكون له الصدارة والعالمية في ميدان اللسانيات وتحليل الخطاب وتفكيك المعنى من خلال المبنى بما جاء به الوحي والتنزيل من الإله العظيم الجليل. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1] فالقرآن هو الكتاب العظيم الذي جاء

[1] سورة سبأ: 28.

للناس كافة وعامة، واتسم خطابه بالعالمية، وهو من الإله العظيم عن طريق الوحي العظيم إلى النبي محمد ﷺ العظيم إلى المسلمين الذين أصبحوا عظماء بالعلم والعمل به واجتناب نواهيه.

وبالنظر إلى عالمية الخطاب القرآني وفق منظور اللسانيات؛ فإن بعض اللسانيين **(براون ويول)** يرون أن الانسجام في الخطاب لا يعود إلى نص بعينه؛ أي ليس الانسجام في نص ما وعدم الانسجام في نص آخر يعود كل منهما إلى طبيعة النص، فليس النص هو الذي يحكم على ذاته بأنه منسجم أو غير منسجم، بل الفعل اللساني في حكمه على الخطاب، ونريد هنا (السياق القرآني) هو الذي يحدد بذائقته اللغوية اللسانية ما إذا كان هذا النص (الخطاب) منسجماً أم غير منسجم، فالانسجام وفق هذين اللسانيين يتركز حول (الانسجام التأويلي) وليس (الانسجام الخطابي) وفي هذه النظرة اللسانية نستشف عالمية وقيمة النص القرآني و نقصد (خطابه) بالتلقي الذي يركز على قدرة السياق القرآني وتماسكه النصي وتأثيره فيه وفينا. [1]

لعلنا ندرس الخطاب القرآني بعالميته من الناحية اللسانية عبر مصطلح (الأفعال الكلامية) عند **جون سورل** من خلال مقولة (القول

---

[1] انظر: خالد، صبري، **الخطاب القرآني مقاربة في ضوء لسانيات النص**، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، العدد: 222، مجلد: 1، عام: 2017م، ص172- 173.

هو العمل) وهو تلميذ **أوستين** الذي وضع اللبنة الأولى لهذه النظرية، والأفعال الكلامية حسب جون سورل تخضع لمستويات أربعة تحقق الهدف والقيمة المرجوة من الأفعال الكلامية، وهي أربعة أفعال في الوقت نفسه: (فعل القول- فعل الإسناد- فعل الإنشاء- فعل التأثير) **ففعل القول** معلوم يتمثل بالألفاظ والكلمات في الخطاب المدروس، وأما **فعل الإسناد** فنعرفه من خلال الصلة بين المتكلم والمتلقي (السامع- المخاطب...) ويظهر **فعل الإنشاء** من خلال النمط الأسلوبي في الخطاب كونه من الإنشاء (أمر- نهي- نداء- استفهام- تمني... وغير ذلك) وأما **فعل التأثير**: فهو القدرة التواصلية التي يحدثها فعل الخطاب بتعدد أنواعه ومستوياته وأجناسه في المتلقي أو السامع أو القارئ عموماً.

نظرية (الأفعال الكلامية) عند جون سورل

فعل القول	فعل الإسناد	فعل الإنشاء	فعل التأثير	أربعة مستويات متزامنة في الوقت والدلالة

وسـنوضـح هذه النظرية التي تكسـب الخطاب القرآني العالمية في الدراسـات اللسـانية حسـب رأينا؛ لأنها تزيد من عالمية ذلك الخطاب الجليل، كما تعود إلى الإكثار من إيراد النصـــوص والأمثلة والآيات في دراساتها للنص والسياق القرآني، ونضرب مثالاً توضيحياً لها قول الله عز وجل في محكم تنزيلـه: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُـــورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾[1] ففعل القول يظهر في أعلى وأجمل صور التعجيز بالتحدي الإلهي للفصحاء من البشر من خلال سياق الخطاب كما نعلم، وفعل الإسناد بين الضميرين (كاف الخطاب- نا) وفعل الإنشـــاء يظهر من خلال صـــيغة الأمر (فأتوا)، وفعل التأثير يتمظهر من خلال الأسلوب النصي بين الحال والدلالة، فسياق الحال في الخطاب يقود إلى الضـــعف والعجز والتســـليم بلا جدل أو منازع أمام تعبير وإعجاز البلاغة الإلهية العظيمة، ونوضـــح من خلال الجدول التالي:

الخطاب القرآني

نظرية الأفعال الكلامية (جون سورل)

---

[1] سورة المائدة: 28.

فعل القول	فعل الإسناد	فعل الإنشاء	فعل التأثير	تشكل عالمية الخطاب القرآني
مجموع التراكيب في السياق (خطاب النص)	ضميري المتكلم (نا) والمخاطب (كاف الخطاب)	صيغة الأمر الطلبية (فأتوا)	نتاج الدلالات والتراكيب	قيادة الخطاب النص نحو عالمية الدلالة وجمالية التماسك والمعنوية

ومن الآيات الكريمة التي نوردها لتوضيح أهمية الخطاب القرآني وعالميته في الدلالة اللسانية والسيميائية في تصوير أعلى درجة الندم التي لا تنفع صاحبها ساعة وقوع الحساب والجزاء ومخاطبة الذين كفروا وحصدوا ما كانوا يعتقدون ويؤمنون به من دون الله، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ﴾(1) فالفعل القولي يظهر من خلال سـياق الآية وصـيغ المخاطبة للكافرين والتفصـيل في الحال والمآل، ويظهر الفعل الإسنادي من خلال المخاطبة بالجماعة، ويتبين الفعل الإنشائي من خلال صيغة النهي بـ(لا) وأما الفعل التأثيري فالحديث عنه هو حديث مطول لعظمة التصـوير ودقة الألم في تفصـيل حاله عبر النص وتراكيبه وعوالمه. ولعل العالمية تتضـح في دلالة الخطاب السيميائية هنا، على أن هذا الخطاب يختزل ويختصر عوالم البشر منذ القدم (آدم) عليه الصـلاة والسـلام إلى أن تقوم القيامة والحقوق والجزاء إلى كل إنسان. ونوضح من خلال الجدول:

الخطاب القرآني

نظرية الأفعال الكلامية (جون سورل)

فعل القول	فعل الإسناد	فعل الإنشاء	فعل التأثير	تشكل عالمية
مجموع التراكيب في السياق	ضمير الجماعة	صيغة النهي الطلبية	نتاج الدلالات والتراكيب	قيادة الخطاب النص نحو

[1] سورة التحريم: 7.

(خطاب النص)	المخاطب (الواو)	(لا تعتذروا)		عالمية الدلالة وجمالية التماسك والمعنوية

ونستنتج من خلال ما تم ذكره أن القرآن الكريم بخطابه السامي هو أصل الأصول في لسانيات النص، كما أنه الخطاب الإلهي المبارك المعجز، والذي لابد من تحقيقه للعالمية في السيمياء والدلالة على جميع المستويات والتراكيب والصور والأخبار والقصص والحكم والأمثال والسياقات وغير ذلك من صنوف اللغويات وتحليل الخطاب بالوقوف على ما تتضمنه من القيم والأخلاق والتعاليم الدينية والدنيوية، فاللسانيات بهذه المعاني كانت وما زالت مفتاحاً للدراسات الخطابية (لسانيات النص) منذ جهود العلماء العرب الجليلة القديمة وصولاً إلى نتاج الدراسات اللسانية في عصرنا الراهن.

الخلاصة:

1- إن اللسانيات المعاصرة في درسها تتوسل بالأسلوب الخطابي لبيان الدلالة المتتالية والتوزيعية والناتجة عن النحو النصي أو نظرية

الخطاب اللسانية عند هاريس؛ إذ تصدر الدلالات اللسانية عبر (النص القرآني) بالأسلوب الجمعي وليس الفردي كالنحو التقليدي، فلقد بات الخطاب هو المادة الأعم والأشمل للدراسة اللسانية الحديثة، كما أصبح اللسانيون يفتشون عن الخطاب عبر مجموع العلاقات المكونة له بشكلها الجمعي، وابتعدوا عن النمط الكلاسيكي القديم في درسهم اللغوي، وبهذا كان تطبيق النظرية اللسانية (الخطاب) عند هاريس هو من الجدة والابتكار، ومما يغطي جانباً جديداً من جماليات وإعجاز النص القرآني المبارك اللامتناهية.

2- إن الصوت هو سر الدلالة في تحليل الخطاب القرآني العظيم، وذلك أنه يشكل المادة والأساس الأول لأي دراسة دلالية لسانية في سياق الخطاب الإلهي مهما تنوعت مادة ومنهج دارسه بين الوصفي أو التاريخي أو المعياري أو غير ذلك من مستويات الدراسة المنهجية لمعاني الصوت ودلالاته في النص القرآني وسياقات الحال والمقال عبره. وفي تقسيم رومان جاكبسون للدلالة اللسانية إلى ستة عناصر نرى ازدياد العمق والبعد عن المعنى السطحي والخارجي وضرورة البحث عن المعنى الداخلي الذي تفرضه طبيعة المستوى الصوتي الذي تقوم عليه الكلمة ومبانيها وصولاً إلى المعاني بكمال النص القرآني وانفتاح مستويات قراءاته النافعة المتنوعة والمتجددة إلى ما شاء الله.

3- إن الخطاب القرآني الجليل أقام ورسخ الكثير من الأسس اللسانية في فهم وإدراك السياق القرآني العظيم؛ إذ كانت لسانيات الخطاب مفتاحاً وصرحاً من صروح فتح مغاليق النص في التخاطبية وعلاقتها بموضوع التلقي وصراع التجاذب عند تحليل النص وفحوى الخطاب بين مرسل معجز قادر ورسالة عظيمة المبنى والمعنى ومتلق أول فصيح بليغ جامع لعوالم الكلم نبينا محمد ﷺ، والمتلقين في المرتبة الثانية المتأثرين المعترفين بسحر الإعجاز الخطابي وجماليات التماسك النصي للسياق القرآني المبارك عبر الترابط الشكلي (الاتساق) والترابط المعنوي (الانسجام)، أو عبر الإبلاغية التخاطبية المباشرة وغير المباشرة أيضاً.

4- إن القرآن الكريم بخطابه السامي هو أصل الأصول في لسانيات النص، كما أنه الخطاب الإلهي المبارك المعجز، والذي لابد من تحقيقه للعالمية في الدلالة على جميع المستويات والتراكيب والصور والأخبار والقصص والحكم والأمثال والسياقات وغير ذلك من صنوف اللغويات وتحليل الخطاب بالوقوف على ما تضمنه من القيم والأخلاق والتعاليم الدينية والدنيوية، فاللسانيات بهذه المعاني كانت وما زالت مفتاحاً للدراسات الخطابية (لسانيات النص) منذ جهود العلماء العرب الجليلة القديمة وصولاً إلى نتاج الدراسات اللسانية في عصرنا الراهن.

مراجع الكتاب

1- إبراهيم، البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عام: 1971م.

2- ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، المكتبة التجارية، القاهرة، د.ت.

ابن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، عام: 1952م.

3- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ط2، دار الإمام مالك، الجزائر، 2009م.

4- أبو هلال، العسكري، **الصناعتين في الكتابة والشعر**، تح: مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، عام: 1981م.

5- أحمد، مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، ط6، عالم الكتب، القاهرة، عام: 1988م.

6- اسارى، حسن، **اللغة والمعنى**، دراسة في فلسفة لودفيج فتغنشتاين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، عام: 2011م.

7- أسامة، جاب الله، **جماليات السرد القرآني في قصة ذي القرنين**: دراسة سيميائية، مجلة علوم إسلامية، ع 45، عام: 2010م.

8- آلاء الرحماني، محمد المجالي، **اللسانيات وتطبيقاتها على القرآن الكريم دراسة نقدية**، مقال، مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية، جامعة قطر، عام: 2020م.

9- بدر الدين، الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، تح: محمد أبو الفضل، ط1، دار المعرفة، لبنان، عام: 1957م.

10- بكري، شيخ أمين، **التعبير الفني في القرآن الكريم**، ط4، دار الشروق، بيروت، عام: 1980م.

11- بن يحيى طاهر ناعوس، **تحليل الخطاب القرآني في ضوء لسانيات النص دراسة تطبيقية في سورة البقرة**. مقال.

12- بيزر، فريدرك، **التاريخانية**، ترجمة: عمرو بسيوني، مركز نهوض للدراسات والنشر.

13- تمام، حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام: 1979م.

14- جلال الدين، السيوطي، **تناسب الدرر في تناسب السور**، تح: عبد القدر أحمد عطا، ط1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، عام: 2002م.

15- جميل، حداوي، **سيموطيقيا الصورة البصرية**، ط1، دار الريف، المغرب، عام: 2020م.

16- الجوهري، **الصحاح في اللغة والعلوم**، دار الحضارة الإسلامية، عام: 1974م.

17- حازم، القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تح: محمد الحبيب ابن الخوجة، ط3، دار الغرب الإسلامي، لبنان، عام: 1986م.

18- حافظ علوي، **نحن واللسانيات مقاربة لبعض إشكالات التلقي في الثقافة العربية**، مقال، موقع: الكلمة.

19- حمادة، حامد، **التماسك النصي بالإحالة دراسة تطبيقية في سورة الواقعة**، حوليات كلية اللغة العربية بجرجا، العدد: 19، عام: 2015م.

20- خالد، صبري، **الخطاب القرآني مقاربة في ضوء لسانيات النص**، مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، العدد: 222، مجلد: 1، عام: 2017م.

21- خولة، طالب الإبراهيمي، **مبادئ في اللسانيات**، دار القصبة، الجزائر.

22- زكرياء، عريف، **مشروعية توظيف اللسانيات في تفسير القرآن الكريم دراسة لآراء الرافضين والمؤيدين**، مركز تفسير للدراسات القرآنية.

23- سعيد بنكراد، **السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها**، ط3، دار الحوار، اللاذقية، 2012م.

24- السيوطي، **الأشباه والنظائر في النحو**، تح: عبد العال مكرم، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، عام: 1985م.

25- الشاطبي، **الموافقات**، تح: بكر بن عبيد الله أبو زيد، ط1، دار ابن عفان، عام: 1997م.

26- شوقي، ضيف، **في النقد الأدبي**، ط2، دار المعارف، مصر، عام: 1996م.

27- صلاح الدين، عبد التواب، **الصورة الأدبية في القرآن الكريم**، ط1، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1995م.

28- طه، العلواني، **نحو تأسيس علم مراجعات التراث الإسلامي**، مجلة الإحياء.

29- طه، عبد الرحمن، **روح الحداثة:** المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2006م.

30- عبد الرحمن، الحاج، **المناهج المعاصرة في تفسير القرآن وتأويله**، ملتقي أهل التفسير، 2008.

31- عبد السلام، المسدي، **العربية والإعراب**، دار الكتاب الجديد، بيروت، عام: 2010م.

32- عبد القادر، جعيد، **أثر السياق اللغوي وغير اللغوي في إبراز المعنى التداولي في العربية**. مجلة إشكالات في اللغة والأدب، عدد: 1، عام: 2021م.

33- عبد القاهر، الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تح: محمود شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، 1992م.

34- علي، مزيان، **علم الأصوات بين القدماء والمحدثين**، ط1، دار شموع للنشر، عام: 2003م.

35- عمر، السلامي، **الإعجاز الفني في القرآن**، نشر مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.

36- لشخب، زين الدين، **المناهج اللسانية وأثرها في الدراسات القرآنية المعاصرة**، جامعة أحمد دراية، الجزائر، عام: 2017م.

37- مارتين، جولي، **مدخل إلى تحليل الصورة**، تر: جيهان عيسوى، أكاديمية الفنون، عام: 2011م.

38- محمد سليمان، ياقوت، **علم الجمال اللغوي (المعاني، البيان، البديع)**، دار المعرفة الجامعية، مصر، عام: 1995م.

39- محمد عبد العظيم، الزرقاني، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، ط3، مطبعة البابي الحلبي.

40- محمد فوزي، البخيت، **خصائص الأسلوب القرآني**، ط1، جامعة الملك سعود، عام: 1436هـ.

41- محمد، المقالح، **في الميزان الجديد**، دار نهضة مصر، القاهرة، عام: 1973م.

42- محمد، شتوان، **السياق وتأويل النصوص نموذج من النص القرآني**، مقال.

43- محمد، علواش، **السقوط الحداثي: نقد المنهج في التعامل مع النص القرآني**، ط1، عالم الكتب، الأردن، عام: 2019م.

44- محمود، شيخون، **الإعجاز في نظم القرآن**، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، عام: 1978م.

45- محمود، عكاشة، **الدلالة اللفظية**، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، عام: 2002م.

46- مصطفى، الرافعي، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، ط9، دار الكتاب العربي، لبنان، عام: 1973م.

47- منذر، عياشي، **مقالات في الأسلوبية**، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب بدمشق، عام: 1990م.

48- نعمان، بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب**، ط1، دار جدارا للكتاب العالمي، الأردن، عام: 2009م.

49-هلال الدين، نعمان، **الخطاب القرآني في ضوء العلوم اللغوية**. مقال.

50- يعقوب، حسين، **طرق الاستدلال ومقدماتها عند المناطقة والأصوليين**، ط2، مكتبة الراشد، عام: 2001م.

موضوعات الكتاب



لا تخلو اللغة القرآنية المباركة من العمق في الدلالات والسياقات اللامتناهية من المضامين النصية بين اللفظ القرآني وعلم اللسانيات، فلو نظرت في المؤلفات الحديثة، وجدت كثيراً منها يقوم على دراسة وتأصيل العلاقة بين النص القرآني واللسانيات.

إنّ قيمة النص القرآني تزداد يوماً بعد يوم والدليل هو التطور الذي يحدثه عبر الأزمنة بين الدراسات القديمة القائمة على ظاهر النص بين اللفظ والمعنى أو وجهي العملة الواحدة، وبين القرآن واللسانيات الحديثة التي تدرس النص القرآني بين التشكيل والدلالة في مراحل مشبعة بالعلاقة بين السياق والبعد الدلالي والتناسب والتناسق والتماسك وما إلى ذلك من مصطلحات اللسانيات التي نعلم قيمتها من خلال تطبيقها وشرحها على المستوى التركيبي للقرآن العظيم.

الدكتور: عبيدة خليل الشبلي

